الوقت في حياة المسلم

دكتور يوسف القرضاوى

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية، عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

إهــــــداء2005
SIDA
الســـويـــد

الوقت في حياة المسلم

دكتور يوسف القرضاوى

الوقت فى حياة المسلم

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الرابعة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الوقت .. وحياة المسلم

أحمد الله سبحانه وتعالى على تقديم هذه الطبعة الثانية من كتاب « **الوقت فى حياة المسلم** » ، لِتُطْبَع فى مصر العزيزة - حرسها الله للإسلام - !! .

وقضية « الوقت » ليست إحدى قضايا حياة المسلم ، بل هى على رأس هذه القضايا فما الوقت إلا الحياة ، وما هذه الدقائق والثوانى فضلاً عن الساعات والأيام- إلا العمر الإنسانى . . . وإلا الحياة الإنسانية !!

والحقيقة أن البون شاسع بين موقف الإسلام من الوقت ، وهو الموقف الذى يحصى كل دقيقة ، ويحاسبه عليها إن عملاً وإن كسلاً - وبين أسلوب المسلمين فى الحياة ، وهو الأسلوب الذى يتفنن فى إهدار الوقت بكل الطرق سواء فى المقاهى أم فى المكاتب الحكومية أم فى مشاهدة المباريات الرياضية بقصد التصفيق والتأييد لناد من الأندية أو للاعب من اللاعبين !!

وفى الوقت الذى تفيدنا فيه التقارير أن عطاء الإنسان الأوربى اليومى يتجاوز السبع ساعات - تفيدنا التقارير الرسمية أن عطاء الإنسان المسلم لا يتجاوز ثلاثين دقيقة .

فهل يمكن أن تكون هكذا حياة المسلم ؟ وهل يمكن أن يكون المسلمون على هذا المستوى الردىء ، ودينهم هو هذا الدين الذى يقول كتابه الكريم على لسان المجرمين يوم القيامة : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا ، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ، وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ (١) ؟!!

---

(١) الكهف : ٤٩

كلا فهذا المستوى لم يعد يقبل السكوت عليه فى عصر تتبارز فيه القوى الكبرى على استغلال كل دقيقة فى البحار والفضاء !!

وكتابنا هذا يعالج قضية « الوقت » من شتى جوانبها ... وهو وإن كان دراسة علمية توخينا فيها كل شروط البحث العلمى - إلا أننا نعترف بأن لها هدفًا محددًا هدفنا إليه وهو أن يستيقظ المسلمون من غفلتهم ، وأن يعيدوا تقويم نظرتهم للوقت وقيمته ... أعنى للحياة وقيمتها ...

ولهذا فنحن سعداء إذ نقدم هذه الطبعة - آملين منها - تحقيق ما هدفنا إليه ... والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

مقدمة الطبعة الأولى

الحمدُ لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاةُ والسلام على رسوله المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بسنته إلى يوم الدين .

وبعد ، فهذه صحائف كنت كتبتها عن نعمة « الوَقت » وقيمته فى حياة الإنسان المسلم وواجب المسلم نحوه ، دفعنى إلى كتابتها ما عرفتُه من اهتمام الإسلام البالغ فى كتابه وسنته بالوقت ..

وما لمسته لدى المسلمين فى قرونهم الأولى - وهى خير القرون - من حرص شديد على أوقاتهم فاق حرصَ مَنْ بعدَهم على دراهمهم ودنانيرهم ، مما كان حصاده علماً نافعًا ، وعملاً صالحًا ، وجهادًا مبرورًا ، وفتحًا مبينًا ، وحضارة راسخة الجذور باسقة الفروع .

ثم ما عايشته وأعايشه اليوم فى دنيا المسلمين من إضاعة للأوقات ، وتبذير للأعمار ، جاوز حد السَّفه إلى العته ، حتى غَدَوْا فى ذيل القافلة وقد كانوا منها فى مأخذ الزمام ، فلا عملوا لعمارة دنياهم ، شأن أهل الدنيا ، ولا لعمارة آخرتهم شأن أهل الدين ، بل خرَّبوا الدارين ، وحُرِمُوا الحسنيين !! ولو فقهوا ، لعملوا للدنيا كأنهم يعيشون أبدًا ، وعملوا للآخرة كأنهم يموتون غدًا .

وجعلوا شعارهم الدعاء القرآنى الجامع : ﴿ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (1) .

فعسى أن يعلِّمهم الزمانُ ، وينبههم اختلافُ الليل والنهار ، إن كانوا من أولى الألباب : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ

(1) البقرة : ٢٠١

لأُولِى الأَلْبَابِ * الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (١) .

* * *

(١) آل عمران : الآيات (١٩٠ - ١٩٤) .

عناية القرآن والسنة بالوقت

عُنِى القرآن والسنة بالوقت من نواحٍ شتى ، وبصور عديدة .

وفى مقدمة هذه العناية بيان أهميته ، وعظم نعمة الله فيه ، يقول القرآن فى معرض الامتنان ، وبيان عَظِيم فضل الله تعالى على الإنسان : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ (١) .

ويقول تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (٢) ، أى : جعل الليل يخلُف النهار ، والنهار يخلُف الليل ، فمن فاته عمل فى أحدهما ، حاول أن يتداركه فى الآخر .

ولبيان أهمية الوقت ، أقسم الله تعالى فى مطالع سُوَرٍ عديدة من القرآن المكى بأجزاء معينة منه ، مثل الليل والنهار ، والفجر ، والضحى والعصر ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ (٣) ، ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (٤) ، ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ ، ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ .

ومن المعروف لدى المفسرين ، وفى حس المسلمين : أن الله إذا أقسم بشىء من خلقه ، فذلك ليلفت أنظارهم إليه ، وينبههم على جليل منفعته وآثاره .

وجاءت السنة النبوية تؤكد قيمة الوقت ، وتقرر مسؤولية الإنسان عنه أمام الله يوم القيامة ، حتى إن الأسئلة الأربعة الأساسية التى توجه إلى المكلف يوم الحساب ، يخص الوقت منها سؤالان رئيسيان . فعن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال : « لن

---

(١) إبراهيم : ٣٣ ، ٣٤
(٢) الفرقان : ٦٢
(٣) الليل : ١ ، ٢
(٤) الفجر : ١ ، ٢

تزول قدما عبدٍ يوم القيامة ، حتى يُسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » رواه البزار والطبرانى بإسناد صحيح واللفظ له .

وهكذا يُسأل الإنسان عن عمره عامة ، وعن شبابه خاصة ، والشباب جزء من العمر ، ولكن له قيمة متميزة باعتباره سن الحيوية الدافقة ، والعزيمة الماضية ، ومرحلة القوة بين ضعفين : ضعف الطفولة ، وضعف الشيخوخة ، كما قال تعالى: ﴿ اللهُ الَّذى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (١) .

* *

● شعائر الإسلام وآدابه تؤكد قيمة الوقت :

وجاءت الفرائض الإسلامية ، والآداب الإسلامية ، تثبت هذا المعنى الكبير : قيمة الوقت والاهتمام بكل مرحلة منه ، وكل جزء فيه ، وتوقظ فى الإنسان الوعى ، والانتباه إلى أهمية الوقت مع حركة الكون ، ودورة الفلك ، وسير الشمس والكواكب ، واختلاف الليل والنهار .

فحينما يتصدع الليل ، ويسفر نقابه عن وجه الفجر ، يقوم داعى الله يملأ الآفاق ، ويسكب فى مسمع الزمان ، منبهًا للغافلين ، موقظًا للنائمين : أن يقوموا ليتلقوا الصباح الطهور من يَد الله « حى على الصلاة ، حى على الفلاح » ، « الصلاة خير من النوم » ، فتجيبه الألسنة الذاكرة ، وتحل كل « عقد الشيطان » (٢) حيث تقوم بسرعة إلى الصلاة .

وحين يقوم قائم الظهيرة ، وتزول الشمس عن كبد السماء ، ويغرق الناس فى لجج المشاغل الدنيوية ، والمتاعب اليومية ، يعود المنادى ينادى مرة ثانية ، مكبراً مهللاً ، شاهدًا لله بالوحدانية ، ولنبيه محمد بالرسالة ، داعيًا إلى الصلاة والفلاح .

---

(١) الروم : ٥٤

(٢) إشارة إلى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ، ثلاث عقد » وسيأتى عنه الحديث عن نظام الحياة اليومى للمسلم .

وهناك يُنتزع الناس من براثن أعمالهم ، وروتين حياتهم ، ليقفوا بين يدى خالقهم ، ورازقهم ، ومدبر أمرهم ، دقائق معدودات ، يخففون فيها من غلواء التصارع على المادة ، والاستغراق فى طلب الدنيا ، وذلك فى صلاة وسط النهار : صلاة الظهر .

وحين يصير ظل شىء مثله ، وتبدأ الشمس تميل للمغيب ، ينادى المنادى مرة ثالثة، داعيًا إلى صلاة العصر .

وحين يختفى قرص الشمس ، ويغيب وجهها من الأفق ، ينادى داعى الله مرة رابعة مؤذناً لصلاة آخر النهار وأول الليل : صلاة المغرب .

وحين يغيب الشفق ، يرتفع الصوت الربانى بالأذان الأخير للصلاة الخاتمة ليوم المسلم : صلاة العشاء .

وبهذا يفتتح يومه بالصلاة ، ويختتمه بالصلاة ، وهو بين الصلاتين : الفجر والعشاء - على موعد دائم متجدد مع الله ، كلما دار الفلك ، واختلف الليل والنهار .

وفى كل أسبوع يجىء يوم الجمعة ، لينادى فيه المنادى نداءً جديدًا ، يدعو إلى صلاة أسبوعية جماعية ذات وضع خاص ، وشروط خاصة هى صلاة الجمعة .

وفوق هذه الصلوات المفروضة ، هناك صلاة الليل بالأسحار ، يقوم بها عباد الرحمن ، الذين يبيتون لربهم سُجَّدًا وقيامًا ، وصلاة الضحى ، وصلوات النوافل فى أوقات شتى من اليوم والليلة .

وفى مطلع كل شهر يبزُغ الهلال ، فيستقبله المسلم مهللاً مكبرًا داعيًا ربه ، مناجيًا هذا الوليد الجديد : الله أكبر . . . الله أكبر . . . الله أكبر . . الحمد لله الذى خلَقك ، وقدرَك منازل ، وجعَلك آية للعالمين . اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى . هلال خير ورشد ربى وربك الله .

وفى شهر رمضان من كل عام ، حيث تُفتَحُ أبوابَ الجنة ، وتُغلَق أبواب جهنم، وتُصَفَّد الشياطين ، ينادى مناد آخر من السماء لا من الأرض : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر .

هنالك يتوب العَاصى ، ويُقبلُ المعْرِضُ ، وينتَبه الغافل ، ويعود كثير من الشاردين

إلى ساحة الله ، يلتَمِسون رضاه ، ومغفرَته بُحسن الصيام ، وحُسن القيام ، كما وعدهم رسوله الكريم : « مَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه ، ومَنْ قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه » .

وبعد هذه السياحة الروحية فى شهر رمضان ، تتبعها سياحة أخرى : مادية وروحية معًا ، هى سياحة الحج الذى تبدأ أشهره بمجرد انتهاء رمضان ﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ، فَمن فَرَضَ فِيهنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِى الحَجِّ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، واتَّقُونِ يَا أُولِى الأَلْبَابِ ﴾ (١) .

لقد كان بعض السلف يسمون الصلوات الخمس : « ميزان اليوم » ، ويسمون الجمعة « ميزان الأسبوع » ويسمون رمضان « ميزان العام » ، ويسمون الحج « ميزان العمر » حرصًا منهم على أن يسلم لأحدهم يومه أولاً ، فإذا مضى اليوم كان همه فى سلامة الأسبوع ، ثم فى سلامة العام ، ثم فى سلامة العمر فى النهاية .. وذلك هو مسك الختام .

وبجانب هذا وذاك فريضة الزكاة ، التى تَجبُ كل حول فى معظم الأحوال ، وعند كل حصاد ، وجنى فى الزروع والثمار ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِه ﴾ (٢) . وبهذا يظل المسلم متتبعًا لمسيرة الزمن ، مراقبًا لحركته حتى لا يؤخر الزكاة عن موعد وجوبها ، إذا حال الحول أو جاء أوان الحصاد .

* *

● خصائص الوقت :

وللوقت خصائص يتميز بها ، يجب علينا أن ندركها حق إدراكها ، وأن نتعامل معه على ضوئها ، منها :

---

(١) البقرة : ١٩٧ (٢) الأنعام : ١٤١

١ - سرعة انقضائه :

فهو يمر مر السحاب ، ويجرى جرى الريح ، سواء كان زمن مسرة وفرح ، أم كان زمن اكتئاب وترح ، وإن كانت أيام السرور تمر أسرع ، وأيام الهموم تسير ببطء وتثاقل ، لا فى الحقيقة ولكن فى شعور صاحبها ، يقول أحد الشعراء :

مـرت سـنينَ بالوصال وبالهنَا ... فكأنَّهـا من قُصْـرها أيام

ثم انثَنت أيامَ هجْـرٍ بعدهـا ... فكأنَّهـا من طولِهـا أعـوام

ثم انقَضت تِلك السنونُ وأهلُها ... فكأنَّهـا وكأنَّهُـم أحـلام

ومهما طال عمر الإنسان فى هذه الحياة الدنيا فهو قصير ، ما دام الموت هو نهاية كل حى ، ورحم الله الشاعر الذى قال :

وإذا كان آخرُ العمر موتًا ... فسـواء قصيرُهُ والطويل !

وعند الموت تنكمش الأعوام والعقود ، التى عاشها الإنسان ، حتى لكأنها لحظات مرت كالبرق الخاطف .

يحكون عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام : أنه جاءه مَلَك الموت ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده ، فسأله : يا أطول الأنبياء عمرًا ، كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما ، وخرجت من الآخر!!

وسواء صحت هذه القصة أم لم تصح ، فإنها تعبر عن حقيقة مقررة ، هى تضاؤل الأعمار عند الموت ، ومثل ذلك عند قيام الساعة ، يتراءى للإنسان قصَر ما فات ، وضآلته ، حتى يقول الله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (١) ، وفى آية أخرى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢) .

---

(١) النازعات : ٤٦ (٢) يونس : ٤٥

٢ - أن ما مضى منه لا يعود ولا يعوض :

وهذه خصيصة أخرى من خصائص الوقت ، فكل يوم يمضى ، وكل ساعة تنقضى ، وكل لحظة تمر ، ليس فى الإمكان استعادتها ، وبالتالى لا يمكن تعويضها، وهذا ما عبر عنه الحسن البصرى بقوله البليغ : « ما من يوم ينشق فجره ، إلا وينادى : يا ابن آدم ؛ أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود منى ، فإنى إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة » .

وليس هذا حديثًا مرفوعاً ، كما حَسِبَ بعض الناس ، بل هو من كلام الحسن البصرى الذى قال فيه الإمام على زين العابدين : « هذا الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء » .

ولهذا رأينا الشعراء والأدباء بعد بلوغ المشيب ، يتمنون عودة أيام الشباب مرة أخرى ، ولكنه محض تمن ، لا يفيد فى كثير ولا قليل ، يقول قائلهم :

ألا ليتَ الشبابَ يعود يومًا فأخبره بما فعَــل المشيبُ !

ويصور شاعر آخر كيف يمضى العمر ، وتذهب أيامه ولياليه بلا رجعة ، ولا أمل فى رجعة ، فيقول :

وما المرءُ إلا راكبٌ ظَهْرَ عُمْرِه على سفرٍ يُفْنِيه باليوم والشهــرِ
يَبيتُ ويُضــحى كلَّ يومٍ وليلةٍ بعيداً عن الدنيا قريبًا إلى القبر

٣ - أنه أنفس ما يملك الإنسان :

ولما كان الوقت سريع الانقضاء ، وكان ما مضي منه لا يرجع ، ولا يعوض بشيء، كان الوقت أنفس وأثمن ما يملك الإنسان ، وترجع نفاسة الوقت إلى أنه وعاء لكل عمل وكل إنتاج ، فهو فى الواقع رأس المال الحقيقى للإنسان ، فردًا أو مجتمعًا .

إن الوقت ليس من ذهب فقط كما يقول المثل الشائع ، بل هو أغلى فى حقيقة الأمر من الذهب واللؤلؤ والماس ، ومن كل جوهر نفيس ، وحجر كريم ، إنه - كما قال الشهيد حسن البنا - : هو الحياة ! فما حياة الإنسان إلا الوقت الذى يقضيه من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة .

وفى هذا قال الحسن البصرى أيضاً : يا ابن آدم ، إنما أنت أيام مجموعة ، كلما ذهب يوم ذهب بعضك !

ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتى عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته ، وقيمة العمل فيه ، ولكن بعد فوات الأوان . وفى هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته ، حيث لا ينفع الندم .

* **الموقف الأول** : ساعة الاحتضار ، حين يستدبر الإنسان الدنيا ، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنِحَ مهلة من الزمن ، وأخِّر إلى أجل قريب ، ليصلح ما أفسد ، ويتدارك ما فات . وفى هذا يقول القرآن :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِى إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) .

وكان الرد على هذه الأمنية الفارغة قاطعًا ومانعًا : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

* **الموقف الثانى** : فى الآخرة ، حيث تُوَفَّى كل نفس ما عملت ، وتُجْزَى بما كسبت ، ويدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار . هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف ، ليبدؤوا من جديد عملاً صالحًا ، وهيهات هيهات لما يطلبون ، فقد انتهى زمن العمل ، وجاء زمن الجزاء ، يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ، كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَل

---

(١) المنافقون : ٩ ، ١٠ (٢) المنافقون : ١١

صَالِحًا غَيرَ الَّذى كنَّا نَعْمَلُ ، أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ (١) .

وانقطعت حجتهم بهذا السؤال التقريعى : ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ .

فلم يجدوا له جوابًا .

فقد قطع الله الأعذار حين أعطي كل مكلف من العمر ما يتسع لعمل ما كُلِّف به ، ويذكره إذا غَفِل عنه ، وبخاصة من عاش حتى بلغ الستين من عمره . ففى هذا القدر من السنين ما يكفى لأن ينتبه الغافل ، ويؤوب الشارد ، ويتوب العاصى ، وفى الحديث الصحيح : « أعذر الله إلى امرئ أمهله حتى بلغ ستين عامًا » (٢) .

* *

● واجب المسلم نحو الوقت :

وإذا كان للوقت كل هذه الأهمية ، حتى ليعد هو الحياة حقًا ، فإن على الإنسان المسلم واجبًا بل واجبات نحو وقته ، ينبغى أن يعيها ، ويضعها نُصْب عينيه ، وأن ينقلها من دائرة المعرفة والإدراك إلى دائرة الإيمان والإرادة ، فدائرة العمل والتنفيذ .

* *

● الحرص على الاستفادة من الوقت :

وأول واجب على الإنسان المسلم نحو وقته ، أن يحافظ عليه ، كما يحافظ على ماله ، بل أكثر منه ، وأن يحرص على الاستفادة من وقته كله ، فيما ينفعه فى دينه ودنياه ، وما يعود على أمته بالخير والسعادة ، والنماء الروحى والمادى .

وقد كان السلف - رضى الله عنهم - أحرص ما يكونون على أوقاتهم ، لأنهم كانوا أعرف الناس بقيمتها .

يقول الحسن البصرى : أدركت أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم ! .

---

(١) فاطر : ٣٦ ، ٣٧

(٢) رواه البخارى .

ومن هنا كان حرصهم البالغ على عمارة أوقاتهم بالعمل الدائب والحذر أن يضيع شيء منه في غير جدوى ، يقول عمر بن عبد العزيز : إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما !

وكانوا يقولون : من علامة المقت إضاعة الوقت ، ويقولون : الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك ، وكانوا يحاولون دائمًا الترقى من حال إلى حال أحسن منها ، بحيث يكون يوم أحدهم أفضل من أمسه ، وغده أفضل من يومه ، ويقول فى هذا قائلهم : من كان يومه كأمسه فهومغبون ، ومن كان يومه شرًا من أمسه فهو ملعون !

وكانوا يحرصون كل الحرص على ألا يمر يوم أو بعض يوم ، أو برهة من الزمان وإن قصرت ، دون أن يتزودوا منها بعلم نافع ، أو عمل صالح ، أو مجاهدة للنفس ، أو إسداء نفع إلى الغير ، حتى لا تتسرب الأعمار سدى ، وتضيع هباء ، وتذهب جفاء ، وهم لا يشعرون .

وكانوا يعتبرون من كفران النعمة ، ومن العقوق للزمن : أن يمضى يوم لا يستفيدون منه لأنفسهم ، ولا للحياة من حولهم ، نموًا فى المعرفة ، ونموًا فى الإيمان، ونموًا فى عمل الصالحات .

يقول ابن مسعود - رضى الله عنه - : ما نَدِمت على شيء ندمى على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملى !

وقال آخر : كل يوم يمر بى لا أزداد فيه علماً يقربنى من الله عَزَّ وجَلَّ ، فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم .

وقد رفع هذا بعضهم إلى النبى ﷺ وقد رده ابن القيم فى « مفتاح السعادة » ، وقال : حسبه أن يصل إلى بعض الصحابة أو التابعين .

وفى هذا قال الشاعر :

إذا مــر بى يومٌ ولم أقتبــس هدًى ولم أستفد علمًا فما ذاك من عمرى

وقال حكيم : من أمضى يومًا من عمره فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ،

أو مجد أثله ، أو حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه ، وظلم نفسه !

* *

● قتلة الوقت :

وإذا كان هذا هو حرص سلفنا على الوقت ، وتقدير قيمته وخطره ، فإن مما يدمى القلب ، ويمزق الكبد أسى وأسفًا : ما نراه اليوم عند المسلمين من إضاعة للأوقات فاقت حد التبذير إلى التبديد .

والحق أن السفه فى إنفاق الأوقات أشد خطرًا من السفه فى إنفاق الأموال ، وإن هؤلاء المبذرين المبددين لأوقاتهم ، لأحق بالحجر عليهم من المبذرين لأموالهم ، لأن المالِ إذا ضاع قد يعوض ، والوقت إذا ضاع لا عِوَضَ له .

ومن العبارات التى أصبحت مألوفة لكثرة ما تدور على الألسنة ، وما تقال فى المجالس والأندية عبارة : « قتل الوقت » فترى هؤلاء المبذرين أو المبددين يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد ، أو رقعة الشطرنج ، أو لعبة الورق ، أو غير ذلك - مما يحِل أو يَحْرُمُ - لا يبالون ، لاهين عن ذكر الله وعن الصلاة ، وعن واجبات الدين والدنيا ، فإذا سألتهم عن عملهم هذا وما وراءه من ضياع ، قالوا لك بصريح العبارة : إنما نريد أن نقتل الوقت ! وما يدرى هؤلاء المساكين أن من قتل وقته فقد قتل فى الحقيقة نفسه ! فهى جريمة انتحار بطىء تُرتَكب على مرأى ومسمع من الناس ، ولا يعاقب أحد عليها ! وكيف يُعاقِبُ عليها من لا يشعرُ بها ، ولا يدرى مدى خطرها ؟!

* *

● اغتنام الفراغ :

ومن النعم التى يغفل كثير من الناس عنها ، ويجهلون قدرها ، ولا يقومون بحق شكرها : نعمة الفراغ .

روى البخارى عن ابن عباس عن النبى ﷺ : « نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس الصحة ، والفراغ » .

يقصد بالفراغ الخلو من المشاغل والمعوقات الدنيوية ، المانعة للمرء من حيث الاشتغال بالأمور الأخروية .

ولا ينافى هذا ما جاءت به النصوص الكثيرة من حث على الكسب وطلب المعاش، مادام ذلك لا يغرقه فى لجة الحياة ومطالبها ، ولا يعطله عن القيام بحق الله - عَزَّ وجَلَّ - .

والأصل فى الغبن أن يكون فى البيع والشراء والتجارة ، وهنا - كما يقول العلامة المناوى - شبه المكلف بالتاجر ، والصحة والفراغ برأس المال ، لكونهما من أسباب الأرباح ، ومقدمات النجاح ، فمن عامل الله بامتثال أوامره ربح ، ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأس ماله .

وفى الحديث الآخر : « اغتنم خمسًا قبل خمس .. - وعد منها - : وفراغك قبل شغلك » .

والفراغ لا يبقى فراغًا أبدًا ، فلا بد له أن يملأ بخير أو شر ، ومن لم يشغل نفسه بالحق ، شغلته نفسه بالباطل ، فطوبى لمن ملأه بالخير والصلاح وويل لمن ملأه بالشر والفساد .

يقول بعض الصالحين : فراغ الوقت من الأشغال نعمة عظيمة ، فإذا كفر العبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى ، وانجر فى قياد الشهوات ، شوش الله عليه نعمة قلبه ، وسلبه ما كان يجده من صفاء قلبه .

ويقول صاحب الحكم : الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه ، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه ، يعنى المولى جل جلاله .

وكان السلف الصالحون يكرهون من الرجل أن يكون فارغًا ، لا هو فى أمر دينه، ولا هو فى أمر دنياه ، وهنا تنقلب نعمة الفراغ نقمة على صاحبها ، رجلاً كان أو امرأة ، ولهذا قيل : الفراغ للرجال غفلة وللنساء غلمة ، أى : محرك للغريزة ، والتفكير في أمر الشهوة . وهل كان تعلق امرأة العزيز بيوسف وشغفها به ، وتدبيرها المكايد لإيقاعه فى شباكها ، إلا نتيجة الفراغ الذى تعيش فيه ، ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع الفراغ الشباب الذى يتميز بقوة الغريزة ، والجدة : أى القدرة المالية

التى تمكن الإنسان من تحصيل ما يشتهى .. وفى هذا يقول أبو العتاهية فى أرجوزته :

إن الشبابَ والفراغَ والجدة مَفسدةٌ للمرءِ أىَّ مفسدة !

ويقول الآخر :

لقد هاج الفراغُ عليه شُغلاً وأسـباب البلاءِ من الفراغِ

يعنى بالشغل الذى هاجه الفراغ عليه : شغل القلب وتعلقه بالشهوات وأحلام اليقظة ، مما لا يثمر إلا سوء العواقب فى الآخرة والأولى .

* *

● **المسارعة فى الخيرات :**

ويجدر بالمؤمن الذى يقدر قيمة الوقت وأهميته أن يغمره بفعل الخير ما استطاع إليه سبيلاً ، ولكن لا يكفى أن ينهض إلى الخير فى تثاقل وتكاسل ، أو يؤدى بعضه ويؤجل بعضه ، أو يؤخره كله من يوم إلى آخر ، عجزًا أو كسلاً . وقد قال الشاعر :

ولا أؤخـــر شغل اليوم عن كسل إلى غد . إن يوم العاجزين غد !!

ومن الأدعية والأذكار التى علمها النبى ﷺ لأمته ، ليقولها المسلم فى إصباحه وإمسائه « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل . . » .

ومن ثم أمر القرآن الكريم باستباق الخيرات والمسارعة إليها ، قبل أن تشغل عنها الشواغل ، أو تعوق العوائق ، يقول تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ، فَاسْتَبِقُوا الخَيرَاتِ ، أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا ﴾ (١) .

ويقول معقبًا على أهل الكتاب وما أنزل عليهم : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢) .

---

(١) البقرة : ١٤٨ (٢) المائدة : ٤٨

ويقول جل شأنه مرغبًا فى الجنة ، ونعيمها ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

وفى آية أخرى : ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (٢) .

فهو يأمر بالمسارعة والمسابقة إلى مغفرة الله وجنته ، أى : إلى أسبابها ، وهى الإيمان ، والتقوى ، والعمل الصالح ، والتسابق والتنافس هنا مطلوب ومحمود : ﴿وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٣) . وقد أثنى الله على بعض أنبيائه المصطفين الأخيار بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٤) .

ومدح الصالحين من أهل الكتاب بأنهم : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ ، وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٥) .

وعلى حين ذم المنافقين بقوله : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنفِقُونَ إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾(٧) .

وكان النبى ﷺ يأمر بالمبادرة إلى العمل قبل حلول العوائق والفتن ، ويقول : « هل تنتظرون إلا غنى مطغيًا ، أو فقرًا منسيًا ، أو مرضًا مفسدًا ، أو هرمًا مفندًا(٨)، أو موتًا مُجْهِزًا ، أو الدجال فشر غائب يُنتظر ، أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر » رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال : حديث حسن .

* *

---

(١) آل عمران : ١٣٣ (٢) الحديد : ٢١ (٣) المطففين : ٢٦

(٤) الأنبياء : ٩٠ (٥) آل عمران : ١١٤ (٦) النساء : ١٤٢

(٧) التوبة : ٥٤ (٨) مفندًا : موقعًا فى الفند ، وهو كلام المخرف .

● الاعتبار بمرور الأيام :

وينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة لنفسه ، فإن الليل والنهار يُبليَان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويطويان الأعمار ، ويشيبان الصغار ، ويفنيان الكبار . كما قال الشعر قديمًا :

أشاب الصغير وأفنى الكبيـ ـر كـرُّ الغَداة ومرُّ العشى

إذا ليلة أهـرمت يومَهَا أتى بعـد ذلك يـوم فتى

إن مُضى الزمن ، واختلاف الليل والنهار لا يجوز أن يمر بالمؤمن وهو فى ذهول عن الاعتبار به ، والتفكير فيه ، ففيه كل يوم يمر ، بل فى كل ساعة تمضى ، بل فى كل لحظة تنقضى ، تقع فى الكون والحياة أحداث شتى ، منها ما يُرى وما لا يُرى ، ومنها ما يُعلم ، وما لا يُعلم ، من أرض تحيا ، وحبة تُنبت ، ونبات يُزهر ، وزهر يُثمر ، وثمر يُقطف ، وزرع يُصبح هشيمًا تذروه الرياح ، أو من جنين يتكون ، وطفل يولد ، ووليد يشب ، وشاب يكتهل ، وكهل يشيخ ، وشيخ يموت ! ومن أحوال تدور على الناس كلما دار الفلك من فوق أو دارت الأرض من تحت ، بين يُسر وعُسر ، وغنى وفقر ، وصحة وسقم ، وسرور وحزن ، وشدة ورخاء ، وسراًء وضراًء ، وفى كل ذلك آية لمن كان له لُب ، وذكرى لمن كان له قلب ، وعبرة لمن كان له بصر . أما من حُرِمَ تفكر أولى الألباب ، وإحساس ذوى القلوب ، ونظر أولى الأبصار ، فلن يفيده اختلاف الليل والنهار ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِى الأَلْبَابِ ﴾ (١) ، ويقول جلّ شأنه : ﴿ يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِى الأَبْصَارِ ﴾(٢) .

* *

● تنظيم الوقت :

وينبغى للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات ، والأعمال المختلفة ، دينية

---

(١) آل عمران : ١٩٠ . (٢) النور : ٤٤

كانت أو دنيوية ، حتى لا يطغى بعضها على بعض ، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم ، ولا غير الموقوت على الموقوت ، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يُبَادَر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة ، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل فى وقته .

ومما رواه النبى ﷺ عن صحف إبراهيم : « ينبغى للعاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فى صُنْعِ الله - عَزَّ وجَلَّ ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب » (١) .

وأحوج الناس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من الناس من أصحاب المسؤوليات ، لتزاحم الأعباء عليهم ، حتى إنهم ليشعرون أن الواجبات أكثر من الأوقات .

ومن تنظيم الوقت أن يكون فيه جزء للراحة والترويح ، فإن النفس تَسأم بطول الجد ، والقلوب تَمل كما تمل الأبدان ، فلا بد من قدر من اللهو والترفيه المباح .

كما قال على - رضى الله عنه - : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمى (٢) .

ولا يحسن بالمرء المسلم أن يرهق نفسه بالعمل إرهاقًا يضْعف من قوته ، ويحول دون استمرار مسيرته ، ويحيف على حق نفسه ، وحق أهله ، وحق مجتمعه ، ولو كان هذا الإرهاق فى عبادة الله تعالى صيامًا وقيامًا وتنسُّكًا وزهْدًا .

ولهذا قال النبى ﷺ لأصحابه لما رآهم تكاثروا للصلاة خلفه فى الليل : « خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » (٣) .

---

(١) رواه ابن حبان فى « صحيحه » من حديث أبى ذر الطويل ، واللفظ له ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد كما فى « الترغيب » .

(٢) انظر : فصل « اللهو والترفيه » من كتابنا « الحلال والحرام فى الإسلام » .

(٣) رواه الشيخان من حديث عائشة .

وفى موقف آخر قال : « إن الدين يُسر ، ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا »[1] .

ونصح من بالغ فى القراءة والقيام والصيام بالاقتصاد والاعتدال قائلاً : « إن لبدنك عليك حقًا وإن لأهلك عليك حقًا ، وإن لزورك عليك حقًا »[2] .

وقال لآخرين غلوا فى الطاعة والزهد : « إنما أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »[3] .

فهذه هى سنته ، وهذا هو منهجه عليه الصلاة والسلام : منهج التوسط والاعتدال بين الروحية والمادية ، والموازنة بين حظ النفس وحق الرب ، جل جلاله .

ومن ثم لا يرى الإسلام بأسًا أن يكون للإنسان جزء من وقته لترويح نفسه بالحلال الطيب من متاع الحياة وزينتها ، ولهوها ولعبها .

ولهذا لما سمع الرسول ﷺ حنظلة أحد أصحابه ، وقد اتهم نفسه بالنفاق ، لتغير حاله فى بيته ومع أهله وولده عن حاله عند رسول الله ﷺ قال له : « يا حنظلة ، لو بقيتم على الحال التى تكونون عليها عندى ، لصافحتكم الملائكة فى الطرقات ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » رواه مسلم فهذا هو شأن المسلم : ساعة وساعة ، أى: ساعة لربه ، وساعة لقلبه ، كما يقول المثل السائر .

روى الأصمعى أنه رأى فى البادية امرأة بيدها مسبحة ، وقفت تكتحل وتتزين ، قال : فقلت لها : أين هذا من هذا ؟ يعنى أنه يستبعد أن تكون من أهل الذكر والتسبيح ، وفى الوقت نفسه من ذوات اللهو والتجمل ، فأنشأت المرأة تقول :

وللهِ منى جانبٌ لا أضيعـــه ... وللهو منى والبطالة جانبُ !

قال الأصمعى : ففهمت أنها امرأة صالحة ذات زوج تتجمل له .

* *

---

(١) رواه البخارى والنسائى من حديث أبى هريرة ، ومعناه كما قال المناوى فى « التيسير »: لا يتعمق أحد فى العبادة ، ويترك الرفق كالرهبان إلا عجز فغلب « فسددوا » أى : الزموا السداد ، وهو الصواب بلا إفراط ولا تفريط ، و« قاربوا » أى : إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه و« أبشروا » بالثواب على العمل الدائم وإن قل » .

(٢ ، ٣) رواهما البخارى .

● لكل وقت عمله :

وينبغى للمؤمن أن يعرف ما يتطلبه الوقت من عمل القلب واللسان والجوارح ، فيتحراه ويجتهد فى القيام به ، حتى يقع موقعه من الموافقة للمقصود ، ومن القبول عند الله - عَزَّ وجَلَّ - .

وقد جاء فى وصية أبى بكر لعمر حين استخلفه : اعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار .

ليس المهم إذن أن يعمل الإنسان أى شىء فى أى زمن ، بل المهم أن يعمل العمل المناسب فى الوقت المناسب ، ولذلك وقت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محددة ، لا يجوز التقدم عليها ، ولا التأخر عنها ، ليعلمنا بذلك أن الشىء لا يُقبَل قبل أوانه ، ولا بعد أوانه ، قال تعالى فى شأن الصلاة : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (1) ، وقال فى الصوم : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (2) ، وفى الحج : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ (3) ، وفى الزكاة : ﴿ وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ .

وعمل القلب مثل عمل اللسان ، يجب أن يكون فى وقته وزمانه .

يقول بعض العارفين : أوقات العبد أربعة لا خامس لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية ، ولله عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية .

فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه ، أن هداه لها ، ووقفه للقيام بها .

ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر ، وهو فرح القلب بالله .

ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار .

---

(1) النساء : ١٠٣ (2) البقرة : ١٨٥ (3) البقرة : ١٩٧

ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر . والرضا : رضا النفس عن الله والصبر: ثبات القلب بين يدى الرب .

وما قاله هذا العارف ، يعبر عما نطق به القرآن والسنة .

ففى مقام الطاعة يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١) .

وفى مقام النعمة يقول الله تعالى : ﴿ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (٢) .

وفى مقام المعصية يقول سبحانه : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ، لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ (٣) .

وفى مقام البلية يقول جل من قائل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٤) .

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ : « عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراءَ صبر فكان خيرًا له » .

* *

● تحرى الأوقات الفاضلة :

وينبغى للمسلم الحريص على استباق الخيرات ، أى يتحرى الأوقات التى ميزها الله بخصائص روحية معينة فضلها بها على غيرها ، كما روى فى الحديث : « إن لربكم فى دهركم نفحات فتعرضوا لها » (٥) .

وهذا التخصيص من شأن الألوهية وحدها ، يختص برحمته من يشاء وما يشاء . .

(١) يونس : ٥٨ (٢) سبأ : ١٥ (٣) الزمر : ٥٣

(٤) البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦

(٥) رواه الطبرانى من حديث محمد بن مسلمة وذكره الألبانى فى ضعيف الجامع الصغير .

فكما فضل الله بعض الأشخاص على بعض ، وبعض الأنواع على بعض ، وبعض الأمكنة على بعض ، فضل كذلك بعض الأزمنة على بعض : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ ﴾ (١) .

فقد فضل الله فى الليل ساعات السحر ، وهى الثلث الأخير من الليل ، حيث يتجلى الله على عباده كل ليلة ، حيث ينزل إليهم ، نزولاً يليق بجلاله ، فينادى :

« هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى ينفجر الفجر » (٢) .

ولهذا وصف الله المتقين المحسنين بقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣) .

وقال ﷺ : « أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر ؟ فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن » (٤) .

وفضل الله تعالى من أيام الأسبوع : يوم الجمعة ، وهو العيد الأسبوعى للمسلمين ، وفيه فريضة صلاة الجمعة ، ولقاء الجمعة ، وفيه ساعة إجابة ، لا يصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له .

وقد صح فى الحديث : « إن من غدا إلى الجمعة فى الساعة الأولى كان كمن قدم بدنه ، ومن ذهب فى الساعة الثانية ، (أى : فى الفوج الثانى) كان كمن قدم بقرة، ثم كمن قدم شاه ، فدجاجة . . فبيضة ثم تطوى الملائكة صحفها حين يصعد الخطيب المنبر » .

---

(١) القصص : ٦٨

(٢) رواه أحمد ، ومسلم عن أبى سعيد ، وأبى هريرة معًا .

(٣) الذاريات : ١٥ ، ١٨

(٤) رواه الترمذى عن عمرو بن عبسة وصحَّحه والنسائى ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبى ، وصحَّح البغوى أيضاً كما فى الفيض .

وفضل الله تعالى من أيام العام : أيام عشر ذى الحجة ، وأفضلها يوم عرفة ، بل هو أفضل أيام العام على الإطلاق جاء فى الصحيح عن ابن عباس مرفوعًا : « ما من أيام أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام » يعنى : العشر . قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد فى سبيل الله : قال : « ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا أن يخرج الرجل بنفسه وماله ، فلا يرجع من ذلك بشىء » رواه البخارى . .

وفضل الله من الشهور شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان فرض فيه الصيام ، وسن فيه القيام ، واستحب فيه الإكثار من الصالحات ، فهو موسم المؤمنين ، ومتجر الصالحين ، وميدان المتسابقين . وكان السلف يترقبونه بشوق ولهفة ، قائلين : مرحبًا بالمطهر . يرجون أن يغتسلوا به من أدران عيوبهم ، ويتطهروا من أرجاس ذنوبهم ، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

عن عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال يومًا وقد حضر رمضان :

« أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عَزَّ وجَلَّ » [1] .

ورمضان كله شهر مهم ، ولكن أهم أجزائه : الثلث الأخير منه ، أو العشر الأواخر منه .

وأهميتها لأمرين :

أولاً : أنها ختام الشهر ، وإنما الأعمال بالخواتيم ، ولهذا كان من الدعاء المأثور : « اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك » .

ثانياً : أنها مظنة ليلة القدر ، وهى الليلة التى جعلها الله خيرًا من ألف شهر ، وأنزل فى فضلها سورة من كتابه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ

---

(1) أورده السيوطى فى « الجامع الكبير » (1/8) ، ونسبه للطبرانى ، وابن النجار .

الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِن أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (١) .

وهذه الليلة فى رمضان يقينًا بنص القرآن : أنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، فهى ليلة من هذا الشهر وقد جاءت الأحاديث تأمر بالتماسها فى العشر الأواخر منه .

وكان النبى ﷺ إذا دخل العشر الأواخر ، شد مئزره وأحيا ليله ، وأيقظ أهله وكان يخصها بالاعتكاف .

وفضل الله من الشهور بعد رمضان : الأشهر الحرم ، وهى : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .

يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٢) .

وظلم النفس محرم فى كل شهر ، ولكنه فى الأشهر الحرم أشد إثمًا .

* *

● نظم الحياة اليومى للمسلم :

وينبغى للمسلم إذا أراد أن يبارك له فى عمره أن يسير على نظام الحياة اليومى فى الإسلام .

ويقتضى هذا النظام أن يستيقظ المسلم مبكرًا ، وينام مبكرًا .

يبدأ يوم المسلم منذ مطلع الفجر ، أو على الأقل قبل مشرق الشمس ، وبهذا يتلقى الصباح طاهرًا نقيًا قبل أن تلوثه أنفاس العصاة الذين لا يفيقون من نومهم إلا فى ضحى النهار .

---

(١) سورة القدر .   (٢) التوبة : ٣٦

وهنا يستقبل المسلم يومه من البكور الذى دعا الرسول لأمته بالبركة فيه ، حين قال : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمتى فى بكورها » (١) .

ومن الآفات التى ابتلى بها المسلمون أنهم غيروا نظام يومهم ، فهم يسهرون طويلاً، ثم ينامون حتى تضيع عليهم صلاة الصبح ، وقد قال بعض السلف : عجبت لمن يصلى الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق !

ويروى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإذا هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإذا توضأ انحلت عقدة ثانية ، فإذا هو صلى انحلت عقده الثلاث ، فأصبح نشيطًا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

وما أعظم الفارق بين المسلم الذى انحلت عقد الشيطان كلها من نفسه ، فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة ، وانطلق إلى معترك الحياة ، نشيط الجسم، طيب النفس ، منشرح الصدر ، وبين من ظلت عقد الشيطان فوق رأسه ، فأصبح نؤوم الضحى ، بطىء الخطا ، خبيث النفس ، ثقيل الجسم ، كسلان !

يفتتح المسلم يومه بطاعة الله ، مصلياً فرضه وسننه ، تاليًا ما تيسر له من أذكار الصباح المأثورة عن رسول الله ﷺ مثل :

« أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، لا شريك له ، لا إله إلا هو ، وإليه النشور » .

« اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر » .

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن ، وابن حبان والحاكم عن صخر بن وداعة الغامدى ، وابن ماجه عن ابن عمر ، والطبرانى عن عدد من الصحابة وقد اعتنى الحافظ المنذرى بجمع طرقه عن الصحابة فبلغوا نحو العشرين وهى وإن كانت معلولة تقوى بانضمامها كما قال المناوى فى التيسير ، ولهذا ذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير .

« اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة وعافية وستر ، فأتم نعمتك على وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة » .

ثم يقرأ ما شاء له من كتابه الكريم بخشوع وتدبر وتفهم لمعانيه ، كما قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (١) .

ويتناول فطوره باعتدال ، ثم يتوجه إلى عمله اليومى ساعيًا فى تدبير معاشه ، وطلب رزقه ، يجتهد أن يشغل نفسه بأى عمل حلال ، مهمًا كان من ذوى الثراء والمال ، ولو كان مجرد الإشراف والرقابة ، فإن المال السائب يعلم السرقة .

ومن هنا حرم الإسلام الربا لأنه نظام يلد المال فيه المال حتمًا ، بغير عمل ولا مشاركة ولا مخاطرة ، فهو يقعد متربعًا على أريكته ، ضامنًا أن تأتى له المئة بعشرة، أو الألف بمئة ، دون أدنى تحمل للمسئولية . وهذا ضد نظرة الإسلام إلى الإنسان : إنه خلق ليعمل ويعمر الأرض ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٢) .

والمرء كما يأخذ من الحياة يجب عليه أن يعطيها ، وكما يستهلك منها ينبغى أن ينتج لها ، ولا يعيش عاطلاً متبطلاً ، يأكل ولا يعمل ، ولو كان ذلك بدعوى التفرغ لعبادة الله تعالى ، إذ لا رهبانية فى الإسلام !

روى البيهقى عن عبد الله بن الزبير قال : أشرُّ شىء فى العالم البطالة ، وعلق على ذلك العلامة « المناوى » فى « فيض القدير » (٣) قائلاً : وذلك أن الإنسان إذا تعطل من عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه ، كان ظاهره فارغًا ، ولم يبق قلبه فارغًا ، بل يعشش فيه الشيطان يبيض ويفرخ ، فيتوالد فيه نسله توالدًا أسرع من توالد كل حيوان ، ومن لم ينفع الناس بحرفة يعملها ، يأخذ منافعهم ، ويضيق عليهم معايشهم ، فلا فائدة فى حياته لهم إلا أن يكدر الماء ، ويغلى الأسعار .

ولهذا كان عمر إذا نظر إلى ذى سيما ، سأل : أله حرفة ؟ فإذا قيل : لا ، سقط من عينه !

---

(١) سورة ص : ٢٩ (٢) هود : ٦١

(٣) « فيض القدير » (٢/ ٢٩٠ ، ٢٩١) .

ومما يدل على قبح من هذا صنيعه : ذم من يأكل مال نفسه إسرافًا وبدرًا . فمبا حال من يأكل مال غيره ، ولا ينيله عوضًا ، ولا يرد عليه بدلاً ؟

وشبه بعض الصالحين الصوفى الذى لا حرفة له بالبومة الساكنة فى الخراب ، ليس فيها نفع لأحد !

والمسلم يعتبر عمله الدنيوى عبادة وجهادًا ، إذا صحت فيه النية ، ولم يشغل عن ذكر الله ، وأدى عمله بإتقان وأمانة ، فإن إتقان العمل فريضة على المسلم ، كما قال ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء » رواه مسلم ، وفى الحديث الآخر : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » رواه البيهقى ، وأبو يعلى ، وابن عساكر عن عائشة .

ومن الواجبات اليومية التى لا يجوز للمسلم أن ينساها أو يهملها : واجبه نحو خدمة المجتمع ومساعدة أفراده على قضاء حوائجهم ، وتسهيل أمورهم ، ليكون له بذلك صدقة وصلاة .

روى الشيخان عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « على كل مسلم صدقة ، قالوا : يا رسول الله ﷺ ؛ فإن لم يجد ؟ قال : يعمل بيده ، فينفع نفسه ويتصدق. قالوا : فإن لم يستطع ، أو لم يفعل ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : فليأمر بالمعروف . قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : فليمسك عن الشر ، فإنه صدقة » .

هذه الصدقة أو الضريبة الاجتماعية مفروضة على المسلم فى كل يوم . بل يصح الحديث أنها واجبة على كل مفصل من مفاصله ، أو مِيسم من مياسمه ، مع إشراقة كل شمس ، وبهذا يصبح المسلم ينبوعًا يفيض بالخير والنفع والسلام لمن حوله ، وما حوله .

جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : « كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته ، فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن طريق صدقة » ،

والمراد بالسلامى فى الحديث : العظام والمفاصل والأعضاء ، كما دلت على ذلك أحاديث أخرى ، فهى نعمة على الإنسان ممن خلقه فسواه فعدله ، وصورة فى أحسن صورة ، فعليه أن يشكر الله تعالى عليها ، بأن يستخدمها فى طاعته ونفع عباده ، وإسداء الخير لهم بأى وجه من الوجوه المستطاعة .

وعند الزوال يؤذن للظهر ، فيهرع المسلم إلى صلاته مجتهداً أن يؤديها فى أول وقتها وفى جماعة ما استطاع ، فأول الوقت رضوان الله ، والله تعالى قد أمر باستباق الخيرات ، والرسول ﷺ قد هم أن يحرق على قوم بيوتهم لتخلفهم عن الجماعات ، وقد جعل صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، ولا سيما إذا كانت فى المسجد .

ويتناول المسلم غداءه فى وسط النهار ، أكلاً من طيبات ما رزق الله ، غير مسرف إلى حد التخمة ولا متقشف إلى حد الحرمان ، كما قال تعالى : ﴿ يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (١) .

وفى البلاد الحارة ، وفى فصل الصيف فيها خاصة ، قد يحتاج بعض الناس إلى قيلولة يخلدون فيها إلى شىء من الراحة ، يستعينون بها على قيام الليل ، ويقظة البكور ، وإليها أشار القرآن بقوله : ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ (٢) .

فإذ جاء وقت العصر ، ونادى مناديها : أن حى على الصلاة ، قام المسلم من قيله إن كان قائلاً أو من لجة عمله إن كان عاملاً ، مسارعًا إلى هذه الصلاة التى تعتبر « الصلاة الوسطى » لليوم ، ولا يجوز للمسلم أن يُشْغَل عنها ببيع أو تجارة أو لهو ، فالمؤمنون كما وصفهم الله فى كتابه : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٣) .

ولا يليق بالمسلم أن يؤخر صلاة العصر ، تهاونًا بها ، حتى تصفر الشمس وتدنو من الغروب ، فهذه صلاة المنافقين ، كما قال النبى ﷺ : « تلك صلاة المنافق . تلك صلاة المنافق . تلك صلاة المنافق : يرقب قرص الشمس ، حتى إذا كانت بين قرنى شيطان ، قام فنقرها أربعًا ، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » رواه مسلم .

---

(١) الأعراف : ٣١ ، ٣٢ (٢) النور : ٥٨ (٣) النور : ٣٧

وعندما تغرب الشمس ، يبادر المسلم إلى صلاة المغرب لأول وقتها ، وبخاصة أن وقتها ضيق ، فإذا أدى الفرض والسنة ، تلا ما تيسر له من أذكار المساء المأثورة مثل: « اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لى » .

ومثل أدعية الصباح التى ذكرناها ، يقول بدل « أصبحنا » « أمسينا » ، وهكذا .

ويتناول المسلم عشاءه بغير إسراف ولا تقتير ، ثم يصلى العشاء وما لها من سنن، ويؤخر (الوتر) إذا كان معتاداً الاستيقاظ من الليل ، وإلا صلاه قبل النوم .

وقد يؤخر المسلم عشاءه إلى ما بعد العشاء ، غير أنه إذا حضر العشاء والعِشاء قدم العَشاء كما جاء فى الحديث (1) ، حتى لا يصلى المسلم وقلبه مشغول بغير مناجاة الله .

ويستطيع المسلم أن يقضى بعض الحقوق قبل نومه ، كبعض الزيارات أو المجاملات.

وينبغى أن يكون له حظ يومى من القراءة المنتظمة طلباً للزيادة فى العلم ، كما قال الله لرسوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (2) ، ويحسن به أن يتخير من الكتب والمجلات ما ينفعه فى دينه ودنياه ، وقد قال حكيم : أخبرنى ماذا تقرأ ؟ أخبرك : من أنت !

ولا حرج على المسلم أن يمتع نفسه ببعض اللهو المباح ، أو الترفيه المشروع فى نهار أو ليل . على ألا يجوز ذلك على حق ربه فى العبادة ، أو حق عينه فى النوم ، أو حق بدنه فى الراحة ، أو حق أسرته فى الرعاية ، أو حق عمله فى الإتقان ، أو أى حق من حقوق الغير .

ومن ثم لا يحسن بالمسلم أن يطيل السهر حتى لا يطغى على بعض هذه الحقوق، وإن لم يقصد إلى ذلك قصداً مباشراً ، فإنه ما من طغيان فى جانب إلا قابله إخسار فى جانب آخر .

وهذا يخالف ما أمر به الرحمن ، وما جاء به القرآن : ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (3) .

---

(1) ولفظه : « إذا أقيمت الصلاة وحضر العَشاء فابدؤوا بالعَشاء » ، متفق عليه عن أنس ، وعن ابن عمر ، وهو وارد فى صلاة المغرب ، ولكنه مطرد فى كل صلاة ، نظراً للعلة ، وهذا إن اتسع الوقت .

(2) طه : ١١٤ (3) الرحمن : ٨ ، ٩

ومما يجب على المسلم أن يذكره ولا ينساه فى كل يوم يمر : ألا يفرط فى حق من الحقوق العشرة التى أمر الله تعالى برعايتها فى كتابه فقال :

﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (١) .

فأول الحقوق وأعظمها هو حق الله تعالى ، خالق الخلق ، ومالك الأمر ، وواهب الحياة ، وصاحب النعم كلها . ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ (٢) .

فلا يحل لمسلم التهاون فى حقه أو الغفلة عنه .

وأظهر حقوق الله تعالى اليومية : الصلاة التى جعل الله أول أوصاف المؤمنين الخشوع فيها ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٣) ، وآخر أوصافهم المحافظة عليها : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٤) ، وكتب الويل لمن تشاغل عنها حتى فات وقتها المعلوم : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٥) .

وثانى الحقوق هو : حق الوالدين ، فالإحسان بهما يأتى فى كتاب الله تاليًا للتوحيد وإخلاص العبادة لله .

ويعطى القرآن والسُّنَّة عناية للأم خاصة ، لأن حقها أوكد ، وحاجتها إلى الرعاية أكثر ، وعناءها فى سبيل ولدها أكبر : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ، وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ (٦) .

ولا يكتفى الإسلام ولا يرضيه أن يكون للأم يوم خاص من السنة يسميه الناس «عيد الأم» وإنما يريد الإسلام أن تكون أيام الأم كلها أعيادًا .

---

(١) النساء : ٣٦ (٢) النحل : ٥٣ (٣) المؤمنون : ٢
(٤) المؤمنون : ٩ (٥) الماعون : ٤ ، ٥ (٦) الأحقاف : ١٥

وبعد ذلك يأتى حق ذوى القُربى من الأخوة والأخوات ، والأعمام والعمات ، والأخوال والخالات ، وأبنائهم وبناتهم ، وغيرهم من أولى الأرحام .

وهناك حقوق الضعفاء فى المجتمع من اليتامى والمساكين ، وابن السبيل ، وحقوق العشراء من الجيران الأقارب ، والأباعد ، والصاحب بالجنب من يرافق الإنسان فى حضر أو سفر، بصفة دائمة أو مؤقتة ، ويدخل فى ذلك المرأة مع زوجها ، والزوج مع امرأته .

وختام هذه الحقوق : حق ملك اليمين ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ، وهذا وإن كان ينصرف إلى الرقيق ووجوب الإحسان به فى عصر الرقيق ، فهو بعموم لفظه يشمل كل ما تحت يد الإنسان من حيوانات ومن أجهزة وآلات وأشياء ، فهو مأمور بالإحسان بها ، وذلك بأن يحافظ عليها ويصونها ، ويرعاها ولا يبددها لأنه مؤتمن عليها ، مستخلف فيها .

فإذا أراد المسلم أن يخلد إلى النوم ، استحب له أن يتطهر ، ويصلى ركعتين ، ثم يأوى إلى فراشه مضطجعًا على جنبه الأيمن ، ذاكرًا الله تعالى ، بما ورد عن النبى ﷺ عند النوم مثل قوله :

« باسمك ربى وضعت جنبى ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

وينبغى للمسلم أن يستفيد مما كتبه علماؤنا من كتب تبين له الأقوال والأعمال الدينية المطلوبة منه فى صباحه ومسائه ويومه وليلته .

مثل ما كَتب الإمام النسائى فى كتابه « عمل اليوم والليلة » وكذلك ما كتبه الحافظ ابن السنى تلميذ النسائى بنفس العنوان ، وما كتبه الإمام النووى فى كتابه « الأذكار » وما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه « الكلم الطيب » ، وتلميذه الإمام ابن القيم فى « الوابل الصيب » والعلامة ابن الجزرى فى « الحصن الحصين » وشارحه المحقق الشوكانى فى «تحفة الذاكرين » ، وما كتبه المعاصرون وأقربها رسالة «المأثورات » للإمام الشهيد حسن البنا .

* * *

وقت الإنسان بين الأمس واليوم والغد

الوقت أو الزمن الذى يعيش فيه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : ماض وحاضر ومستقبل ، أو أمس ويوم وغد .

والناس فى علاقتهم بالزمن أو الوقت فى أجزائه هذه عدة أصناف ، يقفون عادة بين طرفى الإفراط والتفريط .

فهناك عبيد الماضى .

وبجوارهم عبّاد الحاضر .

وإلى جانبهم سدنة المستقبل .

وهناك المعتدلون المتوازنون ، الذين يعطون لكل منها حقه ، بلا طغيان ولا إخسار، وقليل ما هم .

● المتعلقون بالماضى :

فمن الناس من لا يكادون يعرفون من الزمن إلا الأمس ، فهم يعيشون فى الماضى وحده ، لا يشعرون بغيره ، ولا يهتمون بسواه ، من يوم مشهود ، أو غد منشود ، سواء كان هذا ماضيهم الشخصى شأن « الرومانسيين » الهائمين ، أم ماضى أسرهم وآبائهم ، أو ماضى أقوامهم وأممهم ، شأن الغلاة من « العظاميين » و« التراثيين » .

ولهذا الصنف من عبيد الماضى عدة صور يظهر فيها :

(أ) صورة من يحيا مفاخرًا به ، معتزًا بأمجاده ، دون أن يضيف جديداً أو يقدم مزيدًا يصل حاضره بماضيه ، ويومه بأمسه ، فهو دائمًا يقول : كنا ، وكان آباؤنا وأجدادنا ، ولا يجد ما يقول عنه : نحن فعلنا كذا ، أو أنجزنا كذا .

ولمثل هؤلاء يقول المتنبى :

لئِنْ فَخَــــرتَ بآباء ذوى حَسَــــبٍ   لقد صدقت ، ولكن بئس ما وَلَدُوا

وقال الآخر :

كُن ابن من شئتَ واكتَسِب أدبًا يُغنيك محمودُهُ عن النســـــب

إن الفتى من يقول : ها أنـــذا ليس الفتى من يقول : كان أبى

إن الاعتزاز بأمجاد الماضى ، ومآثر الأجداد ، أمر محمود ، إذا دفع إلى إكمال ما بدؤوا ، والاقتداء بهم فى خير ما فعلوا ، ولكن الوقوف عند التغنى بذلك لون من السلبية لا يقدم فى بناء الأمم شيئًا .

وماذا يفيد العظام النخرة أن نقول : كنت فيما مضى جسدًا حيًا ؟ إن الموقف الإيجابى هنا هو ما عبر عنه الشاعر بقوله :

إنَّا وإن كرمــت أوائلنـــا لسنا على الآباء نتَّكـــلُ

نبنى كما كانت أوائلنـــا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

(ب) ويقرب من هذه الصورة : صورة « التراثيين » الذين يدعون إلى تقديس التراث بكل ما فيه من صواب وخطأ وجد وهزل ، معتبرين أن الماضى دائمًا خير من الحاضر ، وأن الأول لم يترك للآخر شيئاً ، وأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان .

مع أن الواجب هنا : تحديد مفهوم التراث ، ثم تقويمه بعد ذلك .

فمن الناس من يدخل فى مفهوم التراث عندنا نحن المسلمين : القرآن والسُّنَّة ، وهذا ما لا خيار لنا فى الالتزام به بموجب عقد الإيمان ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ من أَمْرِهِمْ ﴾ (١) .

فالجانب الإلهى من التراث لا يوضع موضع الاختبار أو التردد .

أما الجانب البشرى ، فهو الذى يوضع فى الغربال ، ويميز منه ما يقبل وما يرد ، فمنه ماله صفة المحلية لا العالمية ، فهو يحمل طابع موضعه الذى ظهر فيه ، ولا يصلح لمكان آخر . ومنه ما يحمل طابع زمنه ولا يصلح لزمن آخر . وهكذا .

ومن هنا كانت الدعوة إلى « المعاصرة » بجوار دعوة « الأصالة » أو المحافظة على التراث .

---

(١) الأحزاب : ٣٦

(ج) وهناك صورة من يعيش فى الماضى متشبثًا به ، مقلدًا له ، لمجرد أن هذا ما كان عليه آباؤه الأقدمون . دون أن يمتحن هذا الماضى ليعرف حقه من باطله ، ورشده من غيه ، فموقفه موقف المتلقى المنفذ ، لا المختبر المميز ، موقف المتبع لا المبتدع .

وفى مثل هذا يقول القرآن :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

وهذا التفكير هو الذى وقف عقبه فى وجه المرسلين من قديم الزمان ، فقد قال قوم هود له : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ (٢) .

وقال ثمود لصالح : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا ، أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ (٣) .

ولما قال إبراهيم لقومه : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِى أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ (٤) .

وقال قوم شعيب له : ﴿ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ (٥) .

وهكذا قرر القرآن هذه السنة : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (٦) .

وقد أنكر القرآن على هذا الصنف من الناس هذا الجمود العقلى ، وهذا التحجر على ما كان عليه الآباء ، والتبعية العمياء لما توارثوه ، وواجههم بمثل هذه العبارات: ﴿ أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (٧) ﴿ أَوَ لَوْ كَانَ

---

(١) البقرة : ١٧٠ (٢) الأعراف : ٧٠ (٣) هود : ٦٢ .
(٤) الأنبياء : ٥٢ ، ٥٣ (٥) هود : ٨٧ (٦) الزخرف : ٢٣
(٧) البقرة : ١٧٠

آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ (١) ، ﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴾ (٢) .

(د) وهناك صورة من يعيش فى الماضى ، نادمًا عليه ، متحسرًا على ما فاته منه ، مرددًا دائمًا عبارات التحسر والتمنى : ليتنى فعلت ، وليتنى تركت ، ولو كنت فعلت كذا لكان كذا ، ولو أنى قدمت هذا وأخرت ذاك ، لكان كذا وكان كذا .

وهذا اللون من التفكير أو الشعور ، يلف الإنسان بمسوح الكآبة النفسية ، ويحييه فى نكد وقلق لا مبرر له ، ولا فائدة منه ، ويصيبه بالسلبية المدمرة ، ولهذا قيل : الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت ثان .

ولا غرو أن أنكر القرآن والسُّنَّة هذا السلوك ، يقول الله تعالى بعد ما أصاب المسلمين فى غزوة أحد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال الرسول الكريم :

« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ولا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن « لو » تفتح عمل الشيطان » (٤) .

فالإيمان بقدر الله تعالى يدخل هنا عاملاً إيجابيًا مؤثرًا ، ينتزع الإنسان من سلبية « لو » و« ليت » ونحوها إلى إيجابية العمل والبناء للمستقبل .

وفى هذا تغنى الشعراء ، وإن من الشعر لحكمة :

ليتَ شعرى ، وأين منّى « ليت » ؟ ... إنَّ « ليتًا » و« إنَّ » و« لوا » عناء !

وليس براجع ما فات منى ... بـ « لهف » ولا بـ « ليت » ولا « لو أنّى »

سبقت مقادير الإله وحكمه ... فأرح فؤادك من « لعل » ومن « لو »

* *

(١) المائدة : ١٠٤

(٢) الزخرف : ٢٤

(٣) آل عمران : ١٥٦

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

● المتعبدون للمستقبل :

وفى مقابلة هؤلاء « الأمسيين » المسرفين فى التعلق بالماضى بصورة أو بأخرى نجد آخرين يغالون فى التشبث بالمستقبل ، مديرين ظهورهم للماضى ، معرضين عن تاريخهم ، وتاريخ أمتهم وتاريخ الإنسانية إعراضًا تامًا ، رافضين للمواريث الثقافية والدينية والحضارية ، رفضًا كاملاً ، دون تمحيص ولا تمييز بين حقها وباطلها ، وحلالها وحرامها ، ونافعها وضارها .

يقولون : دعونا من الأجداد الذين ماتوا وشبعوا موتًا ، وخلونا نبحث عن الشباب الذين سيكونون رجال الغد ، بل عن الأطفال الذين سيكونون شباب الغد، بل عن الأجنة التى ستكون عن قريب أطفال الغد .

ويقولون : إنا أعيننا لم تخلق فى أقفيتنا لننظر إلى الوراء ، بل خلقت فى وجوهنا لننظر إلى الإمام ، فلماذا تكلفوننا دائمًا الالتفات إلى الخلف، وهو مما يعوق انطلاقنا وتقدمنا بسرعة نحو الهدف المنشود ؟

يقولون هذا الكلام أو نحوه ، وهو حق إذا قيل فى وجه من يريدون أن يحيا الناس فى قمقم الماضى ، لا يبرحونه ولا يخرجون منه ، ولا يلتفتون إلى حق يومهم، وواجب غدهم .

ولكن هذا الكلام لا يكون حقًا ، أو يكون من الحق الذى يراد به الباطل ، إذا قصد به نسيان الماضى بكل ما فيه ، ورفض التراث بكل ما يحويه ، وإهالة التراب على التاريخ بكل ما يحمل من دروس وعبر وإيحاءات تهدى العقول والأبصار . وما أصدق قول الله تعالى فى كتابه منبهًا إلى الاستفادة من الماضى وعبره : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١) .

* *

---

(١) الحج : ٤٦

● النظرة السلبية إلى المستقبل : نظرة اليأس والتشاؤم :

ومن الناس من ينظر إلى الغد ويفكر فيه ، ولكنها نظرة المتشائم ، الذي يضع على عينيه منظارًا أسود قاتمًا ، ينظر من خلاله إلى الحياة والأحياء والزمان والمكان ، فهو يئوس قنوط ، فقد الثقة بالغد والأمل فى الفوز . . قد استقر فى نفسه أن الأمور لا تسير من سيئ إلا إلى أسوأ ، ولا من أسوأ إلا إلى الأسوأ ، وأن الحياة ليل لا يشقه فجر ، ولا يمحو ظلامه شمس .

وهذه لا ريب نظرة هدامة محطمة : هدامة للإنسان نفسه ، وهدامة للحياة والمجتمع من حوله .

فحياة الفرد من غير شعاع الأمل أضيق من حلقة الخاتم ، بل من سم الخياط ، وقديماً قال الشاعر :

. . . . ما أضيق العيش لولا فُسْحَةُ الأمل !

وحياة المجتمع بدون الأمل ، حياة جامدة ميتة لا روح فيها ، ولا حراك ، فلولا الأمل ، ما بنى بان بنيانًا ، ولا غرس غارس غرسًا ، ولا تقدم العلم خطوة إلى الأمام .

والواقع أن الدين والتاريخ والواقع كلها تعلمنا : أنه لا معنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس مع الحياة ، وأن مع العسر يسرًا ، وأن بعد الليل فجرًا ، وأن دوام الحال من المحال .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

وفى آية أخرى قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إلا الضَّالُّونَ ﴾ (٢) .

وقال الشاعر :

ولـرُبَّ نازلة يضيـــقُ بها الفتى ذرعَــا ، وعند الله مِنها المخرجُ
ضاقتْ فلما استحكمت حلقاتُها فُرِجَتْ وكنتُ أظنُّهَا لا تُفــــرجُ

---

(١) يوسف : ٨٧ (٢) الحجر : ٥٦

. وقال آخر :

اشتدى أزمة تنفرجى قد آذن ليلُك بالبَلَجِ

ومن صور اليأس ومظاهر التشاؤم : ما آمن به كثير من الناس أننا اليوم فى آخر الزمان وأن علامات الساعة قد ظهرت ، وأن الخير فى إدبار ، والشر فى إقبال ، وأن التدين يخبو مصباحه يومًا بعد يومًا حتى يتم انطفاؤه ، وأن الكفر سيعم الأرض ، حتى لا تقوم الساعة إلا على كافر ابن كافر ، وإذن لا أمل فى علاج ، ولا رجاء فى إصلاح .

ويستدلون لهذه النظرية اليائسة بالأحاديث الواردة فى الفتن وأشراط الساعة .

وليس الأمر كما فهم هؤلاء بنظرهم السطحى ، وفهمهم القاصر ، فإن ما ورد فى نصوص الدين من قرب قيام الساعة ، وظهور أمارتها البعيدة ، لا يعنى أنها على الأبواب . فإن القرب والبعد كلاهما أمر نسبى ، ومن يدرى لعل بيننا وبينها آلافًا من السنين لا يعلمها إلا الله ، ولعلها أقرب مما نتصور ! والقرآن لم يزد على أن قال : ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [1] ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [2] كما قال : ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [3] .

وبعثة نبينا ﷺ نفسها من علامات الساعة ، فقد قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين .. وشبك بين السبابة والوسطى » [4] .

فالقعود عن العمل لإحياء شريعة الإسلام ، وأمة الإسلام ، ودولة الإسلام ، انتظارًا لقيام الساعة ، واعتمادًا على أننا فى آخر الزمان ، أمر ينكره الدين أشد الإنكار فإن المسلم مأمور بالعمل والجهاد ما دام فيه عين تطرف ، والمسلمون باعتبارهم أمة مأمورون بذلك ، حتى يُغْلَق باب التوبة ، وذلك فى الأيام الأخيرة من عمر الدنيا ، حين تضطرب السنن التى وضعها الله لهذه الحياة ، فتطلع الشمس من

---

(١) الأحزاب : ٦٣

(٢) الشورى : ١٧

(٣) الأعراف : ١٨٧

(٤) رواه الشيخان .

مغربها ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (١) .

ولقد جاء عن الرسول الكريم الأمر بالاستمرار فى العمل الدنيوى - وهو أهون فى نظر الدين - حتى تلفظ الحياة نفسها الأخير ، وذلك حين قال : « إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها » (٢) .

فإذا كان المسلم مأمورًا ألا يدع غراسه وإن سمع النفخ فى الصور ، حتى يتم عمله ما استطاع ، وإن لم ينتفع به هو ولا أحد من بعده ، فكيف وبيننا وبين الساعة آمادٍ مجهولة ، لا يعلم مقدارها إلا خالق الكون سبحانه ؟

إن العمل مطلوب فى حد ذاته ، ولو لم يحقق ثمرة عاجلة لصاحبه ، فإن حققها فقد فاز بالحسنيين ، وإلا فحسبه أنه جاهد وسعى ، وأدى الواجب ، وأعْذر إلى الله ، وأقام الحجة على المخالفين ، فلا عذر لهم عند الله تعالى ، وسأذكر لك بعض الأحاديث فى ذلك تتبين منها المراد :

١ - روى الترمذى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ستكون بعدى فتن كقطع الليل المظلم . قلت : وما المخرج منها يا رسول الله ؟

قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » .

٢ - « بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » رواه مسلم .

٣ - وروى أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه من حديث أبى ثعلبة الخشنى :

« إن من ورائكم أيام الصبرِ ، الصَّبْرُ فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن

---

(١) الأنعام : ١٥٨

(٢) رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد وعبد بن حميد والبزار ، والطيالسى والديلمى عن أنس قال الهيثمى ورجاله ثقات وأثبات ، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير .

أجر خمسين رجلاً يعملون مثله . قلت : يا رسول الله ، أجر خمسين منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم » .

وفى بعض روايات هذا الحديث تعليل لمضاعفة هذا الأجر بقوله :

« تجدون على الخير أعوانًا ، ولا يجدون على الخير أعوانًا » .

٤ - روى الشيخان عن حذيفة بن اليمان قال :

« كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركنى ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن .

قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتى ، ويهدون بغير هديى ، تعرف منهم وتنكر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت : يا رسول الله صفهم لنا . فقال : هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » .

فهل ترى فى هذه الأحاديث إلا تحذيراً من الشر ، وترغيباً فى الخير ، وتثبيتًا على الحق ، وحثًا على التمسك بكتاب الله ، والصبر على طاعته ، والاعتصام بحبله ، ومقاومة دعاة السوء الواقفين على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها . . ؟

* *

● مواجهة المستقبل بالأمانى والأحلام :

ويقابل هذا الموقف السلبى من المستقبل ، - موقف اليأس والقنوط - موقف سلبى مثله ، وهو مواجهة المستقبل بالأمانى المجردة ، والأحلام الفارغة ، لا بالعلم والعمل رلا تخطيط .

والأمانى لا تبنى مجداً ، ولا تحقق أملاً ، بل هى كما قال كعب بن زهير :

. . . . إن الأمانى والأحلام تضليلُ !

قال رجل لابن سيرين : إنى رأيت فى منامى أنى أسبح فى غير ماء ، وأطير بغير جناح ! فما تفسير هذه الرؤيا ؟ فقال له : أنت رجل كثير الأمانى والأحلام .

وقال على بن أبى طالب لابنه : إياك والاتكال على المنى ، فإنها بضائع النوكى ، أى : الحمقى .

وقال الشاعر :

أعلـــــل بالمنى قلبى لعلى أروح بالأمانى الهـــمَّ عنى

وأعلم أن وصلَكِ لا يُرجّى ولكـــن لا أقل من التـمنى

وقال آخر :

ولا تكن عبد المنى ، فالمنى رؤوس أموال المفاليـــس !

ولا غرو أن أنكر القرآن على أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، تعلقهم بالأمانى فى دخول الجنة بغير أسبابها ، وموجباتها من الإيمان والعمل .

يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

ولم يقف القرآن عند حد الإنكار على أهل الكتاب ، بل أشرك معهم المسلمين ممن حذا حذوهم ممن ظن أن مجرد التسمى بالإسلام أو الانتساب إليه ، ينجيه عند الله ، قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ، مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (٢) .

إن القرآن ينكر الاعتماد على الأمانى ، ولكنه لا ينكر الرجاء ، وفرق بين الأمرين : فالرجاء ما قارنه عمل ، وإلا فهو أمنية .

---

(١) البقرة : ١١١ ، ١١٢ (٢) النساء : ١٢٣ ، ١٢٤

ولهذا اعتبر الحديث النبوى من العجز والحمق اتباع هوى النفس ، والجرى وراء شهواتها ، اتكالاً على عفو الله تعالى ، ومغفرته وسعة رحمته ، مع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

وفى هذا جاء الحديث « الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » (٣) .

أما الرجاء فالقرآن ينوه به ، ويثنى على أهله فى مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

وقال بعض الصالحين : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ، وارتجاء الشفاعة بل اتباع للسنة نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة الله مع المعاصى حمق وجهل .

وقال الحسن : إن قومًا ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ، ولا حسنة لهم ، يقول أحدهم : أحسن الظن بربى ! وكذب . لو أحسن الظن لأحسن العمل له . وتلا قول الله تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٥) .

وكان يقول أيضاً : « يا أيها الناسُ ، اتقوا هذه الأمانى ، فإنها أودية النوكى فيحلون فيها ، فوالله ما آتى الله عبدًا بأمنية خيرًا فى الدنيا ولا فى الآخرة» .

* *

(١) الأعراف : ٥٦ (٢) الأعراف : ١٥٦

(٣) رواه الترمذى وأحمد وابن ماجه ، وفى سنده ضعف ، وصحّحه الحاكم ، فرده عليه الذهبى .

(٤) البقرة : ٢١٨ (٥) فصلت : ٢٣

● عشاق اللحظة الحاضرة :

وهناك أناس لا ينظرون إلى الماضى ، ولا يتطلعون إلى المستقبل ، إنهم يعيشون ليومهم وفى يومهم . الماضى قد فات ، وما فات مات ، وما مات لا يسوغ الاشتغال به أو التفكير فيه .

والمستقبل عندهم غيب ، والغيب مجهول ، ولا ينبغى للإنسان الواقعى أن يتعلق بمجهول لأنه كالبناء على الرمل ، والكتابة فى الهواء .

هؤلاء قد ألهاهم الاستغراق فى يومهم عن التطلع إلى غدهم ، كما ألهاهم عن الاستفادة من أمسهم .

إنهم أبناء يومهم وحاضرهم فحسب ، لا يهتمون بالآخرة ، لأنها مستقبل وهم لا يبيعون نقدًا بنسيئة ، ولا عاجلاً بآجل ، ولا يشغلون أنفسهم بالتاريخ والتراث ، لأنه ماضٍ انتهى ، ومعنى أنهم أبناء يومهم : أنهم لا يفكرون ولا يهتمون إلا باللحظة الآتية الحاضرة ، يعتصرونها ويرتشفونها ، وينعمون بها ، دون أن ينغصوا على أنفسهم بتذكر الأمس ، أو التفكر فى الغد .

ويتمثل أنصار هذا الاتجاه بقول الشاعر العربى :

ما مضى فات ، والمؤمّلُ غيب ... ولك الساعة التى أنت فيها

وهذا كلام يصلح لأن يقوله المؤمنون المستقيمون ، والماديون المتحللون .

فإذا لم تكن للإنسان إلا الساعة التى هو فيها ، فلماذا يضيعها ؟ ولماذا لا يستغلها فى طاعة الله ؟ وفى نصرة الحق ، وفعل الخير ، وإشاعة المعروف ؟ ولهذا ينسب هذا البيت نفسه إلى بعض الصالحين حيث يقول :

إنما هذه الحياة متاعٌ ... فالجهولُ المغرور مَنْ يصطفيهَا

ما مضى فات والمؤمَّلُ غيب ... ولك الساعة التى أنت فيها

والحق أن الحاضر عند التحليل والتأمل ليس إلا خطاً وهمياً بين الماضى والمستقبل، وهذا ما جعل بعض الشعراء يقول :

ما الدهر إلا ساعتان : تأمل فيمـا مضى وتفكـر فيما بقى

أى : أنه ألغى الحاضر تمامًا ، ولكن ينبغى أن يعلم أن الحاضر فى عرف الناس هو اللحظة الحاضرة متصلة بالجزء القريب من المستقبل ، الذى يعتبره الإنسان كأنما قد حضر بالفعل .

* *

● النظرة الصحيحة إلى الزمن :

والنظرة الصحيحة إلى الزمن هى التى تستوعب الماضى والحاضر والمستقبل جميعًا.

لابد من نظرة إلى الماضى :

للاعتبار بأحداثه ، والاتعاظ بمصاير أممه ، وبسنن الله فيهم ، فهو وعاء الأحداث، ومخزن العبر . قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾. ﴿ إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، واللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعقِلُونَ بِهَا أو آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا، فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴾ (٣) .

ثم للاستفادة مما تركه السابقون للاحقين من علوم وآداب وفنون ، بعد أن نمحصها ونحققها ، ونأخذ منها ما يليق بعصرنا وأحوالنا .

وفى الحديث : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أحق بها »(٤).

وليس من الصواب ترك القديم لمجرد أنه قديم ، فمن الأشياء ما يعتبر القدم مزية

---

(١) آل عمران : ١٣٧ ، ١٤٠ (٢) آل عمران : ١٤٦ (٣) الحج : ٤٦

(٤) رواه الترمذى وابن ماجه بسند ضعيف .

له وفضلاً فيه وهو بطبيعته لا يقبل التجديد . . أليس فضل القرآن أنه كلام الله الذى لا تَخلَق جدته ، ولا يبلى على مضى الزمن وكر الدهور ؟

أليس فضل الكعبة أنها « البيت العتيق » المحجوج المقصود على توالى القرون ؟

إن القرآن لا يُجدَّد ، والكعبة لا تُجدَّد ، والحقائق لا تجدد .

لقد أسرف أنصار التجديد حين أعرضوا عن كل قديم ، وصفقوا لكل جديد ، مع أن من القديم ما هو نافع أعظم النفع ، ومن الجديد ما هو ضار أبلغ الضرر ، وقد سخر منهم أديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعى حين قال : إنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر !

وقال عنهم أمير الشعراء شوقى فى قصيدته عن (الأزهر) مندداً بخصومه من أدعياء التجديد :

لا تحذُ حَـــذوَ عِصابةٍ مفتُّـــونَةٍ	يجـــدون كلَّ قديم أمرٍ منكـــراً
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا	مـــن مات من آبائهم أو عُمِّـــراً
من كان ساعٍ فى القديم وهدمـــه	وإذا تَقَـــدَّمَ للبنايةِ قصَّـــــراً

على أن القدم والجدة أمران نسبيان ، فرب قديم عند قوم هو جديد عند آخرين ، ورب جديد فى بيئة يعتبر قديمًا فى أخرى ، والجديد لا يبقى جديدًا أبد الدهر ، فقديم اليوم كان جديد الأمس وجديد اليوم سيكون قديم الغد .

ولا بد من وقفة مع كل يوم يمضى ، ليحاسب الإنسان فيه نفسه : ماذا عمل فيه ؟ ولماذا عمل ؟ وماذا ترك ؟ ولماذا ترك ؟ وحبذا أن يكون ذلك قبل النوم .

إن لحظة المحاسبة للنفس لتعد من لحظات الارتقاء الإنسانى ، حيث يجرد الإنسان من عقله حاكمًا على شهوته ، ومن ضميره حاكمًا على هواه ، ويجعل الإنسان المؤمن من إيمانه شرطيًا يراقب ومفتشًا يحاسب ، وقاضيًا يحكم . وبهذا يرتقى الإنسان من حالة « النفس الأمارة بالسوء » إلى حالة « النفس اللوامة » التى تلوم صاحبها إذا أقدمت على محظور ، أو قصرت فى فعل مأمور .

وفى الحديث الذى ذكرناه من قبل : « ينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ، ومنها : ساعة يحاسب فيها نفسه » .

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم » .

وكان رضى الله عنه يضرب قدميه بالدرة إذا جن الليل ، ويقول لنفسه : ماذا عملت اليوم ؟!

ويقول التابعى الجليل ميمون بن مهران : التقى أشد حسابًا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح !

ويقول الحسن : المؤمن قوام على نفسه ، يحاسبها الله ، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، ثم فسر المحاسبة فقال : إن المؤمن يفجؤه الشىء يعجبه فيقول : والله إنك لتعجبنى وإنك من حاجتى ، ولكن هيهات حيل بينى وبينك ! (وهذا حساب قبل العمل) .

ثم قال : ويفرط منه الشىء فيرجع إلى نفسه فيقول : ماذا أردت بهذا ؟ والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدًا إن شاء الله (وهذا حساب بعد العمل) .

فمن لم يقف كل يوم هذه الوقفة فليقفها كل عدة أيام ، أو فى كل أسبوع مرة يعرف فيها : ماذا له ؟ وماذا عليه ؟

ثم ينبغى أن تكون هناك وقفة أطول فى ختام كل شهر ، ووقفة أطول وأطول حين يودع عامًا ويستقبل عامًا للمراجعة والتدقيق فيما فات ، واستصلاح ما هو آت ، فهى كالحساب الختامى للعام !

ومن البدع الغريبة التى ابتكرها الغربيون ، وقلدهم فيها - للأسف - بعض المسلمين ، أن يقيم أحدهم - كلما انقضت سنة من عمره - حفلاً بهيجًا يقدم فيه ما لذ وطاب من الطعام والشراب ، يسميه الناس « عيد الميلاد » !

وقد تواضع الناس على طقوس وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان ، كإضاءة

شموع بعدد سنوات عمر المختص به أو عقودها ، ثم إطفائها فى حركة مسرحية ، وتبادل التهانى والهدايا بهذه المناسبة .

وكان أولى بالإنسان العاقل - بدلاً من هذا التقليد الأعمى الذى لا معنى له ولا فائدة منه - أن ينتهز هذه المناسبة من انقضاء عام من حياته ، ليقف وقفة تأمل وتفكير، كما يقف التاجر الواعى على رأس كل عام ليراجع سجلاته وموجوداته وديونه ، ليدرك ما له وما عليه ، وليعرف خسائره من أرباحه ، سائلاً الله أن يكون يومه خيراً من أمسه ، وغده خيراً من يومه .

كان أولى بالإنسان العاقل أن يحاسب نفسه على سنة كاملة انسلخت من عمره ، سيسأله الله تعالى عنها ، وهى ليست بالزمن القليل .. إنها سنة !! ، أى : اثنا عشر شهراً ، الشهر ثلاثون يومًا ، اليوم أربع وعشرون ساعة ، الساعة ستون دقيقة، الدقيقة ستون ثانية ، كل ثانية فيها نعمة من الله عليه ، وأمانة من الله لديه .

كان أولى بهذا الإنسان العاقل : أن يأسى على نفسه ، بما انهدم من بنيان عمره ، وما طوى من كتاب حياته ، فكل يوم يمضى إنما هو ورقة من شجرته ، قد ذوت وسقطت .

ورحم الله الحسن البصرى حين قال : يا ابن آدم ، إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك !

وكان أبو على الدقاق ينشد :

كـل يوم يمر يأخـــــــذ بعضى   يورث القلب حسرة ، ثم يمضى !

وقال شاعر آخر :

يسر المرءُ ما ذهب الليالى   وكـــان ذهابهن له ذهابًا

وقال غيره :

إنا لنفــــرح بالأيام نقطعهـــا   وكل يوم مضى جزء من العمر

كان هذا أولى بالإنسان العاقل ، ولكن العقلاء فى الدنيا قليل .

* *

● ونظرة إلى المستقبل :

ولا بد من نظرة إلى المستقبل .

والإنسان بفطرته مشدود إلى المستقبل ، لا يستطيع أن يغفله أو يجعله دبر أذنيه .

وكما رُزِقَ الإنسان ذاكرة تربطه بالماضى وما فيه ، رُزِق أيضاً مخيلة تصور له المستقبل وما يتوقع فيه .

ومن خصائص المستقبل أنه غيب مجهول ، لا يعرف أحد ماذا يخبئ فى صدره من أسرار ، وماذا يضمر له من خير أو شر ؟ ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[1] .

ومن خصائصه : أن كل آت فيه قريب ، مهما ظن المرء أنه بعيد ، أو متراخ ، ولهذا قيل : إن مع اليوم غداً ، وإن غدا لناظره قريب ، وقال الله تعالى فى القرآن: ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [2] .

والعاقل هو من يأخذ أهبته للمستقبل ، ويتهيأ للأمر قبل وقوعه ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [3] .

والذين يظنون أن الدين يعلق الإنسان بالماضى يخطئون فهم جوهر الدين وحقيقته.

إن مهمة الدين الكبرى هى إعداد الإنسان لحياة الخلود ، أى : إعداده للمستقبل ، لدار هى خير وأبقى من هذه الدار .

فالنظرة المستقبلية أساسية فى أصل الدين .

وفى الحديث « إن العبد بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وأجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم فوالذى نفسى بيده ، ما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار » .

وليس معنى هذا أن الإنسان المتدين لا يهتم إلا بمستقبله الأخروى ، مغفلاً مستقبله

---

(١) لقمان : ٣٤ (٢) النحل : ٧٧ (٣) الحشر : ١٨

الدنيوى . كلا .. فالمسلم قد علمه الإِسلام أن يحتاط لغده ، ويعد له عدته ، ويأخذ حذره ، ويتخذ الأسباب المعينة له ، وسواء أكان ذلك فى أمور الدين أم أمور الدنيا .

وإذا كان الرسول هو القدوة العليا للمؤمنين ، فنحن نجده يبحث عن مستقبل دعوته حين بايع الأوس والخزرج ، وفكر فى أمر الهجرة ، سعيًا وراء قاعدة صلبة لإِقامة شريعة الإِسلام ومجتمع الإِسلام .

وهل كانت بيعة العقبة الأولى ثم الثانية ، ثم الإعداد للهجرة إلى يثرب إلا عملاً دؤوباً ، وتخطيطًا محكمًا لمستقبل الإِسلام ؟

وفى أمور الدنيا نجده ﷺ يدخر لأهله قوت سنة ، ولا يرى فى ذلك منافاة للتوكل على الله ، لأنه يتنافى مع الأخذ بالأسباب .

* *

● الاهتمام بالحاضر :

وإذا كان لا بد للمؤمن من وقفة مع الماضى للاعتبار والاستفادة والمحاسبة ، ومن نظرة إلى المستقبل لإِعداد العدة ، وتهيئة الزاد ، ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ ، فلا بد من توجيه اهتمام خاص إلى الحاضر ، إلى الساعة التى نعيشها بالفعل لنغتنمها قبل أن تفلت وتضيع .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى فى « إحيائه » :

« الساعات ثلاث : ساعة لا تعب فيها على العبد ، كيفما انقضت : فى مشقة أو رفاهية ، وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدرى العبد : أيعيش إليها أم لا ؟ ولا يدرى ما يقضى الله فيها ، وساعة راهنة ينبغى أن يجاهد فيها نفسه ، ويراقب فيها ربه . فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة ، وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ، ولا يطول أمله إلى خمسين سنة ، فيطول عليه العزم على المراقبة فيها ، بل يكون ابن وقته ، كأنه فى آخر أنفاسه وهو لا يدرى ، وإذا أمكن أن يكون هذا آخر أنفاسه ، فينبغى أن يكون على وجه لا يكره

أن يدركه الموت ، وهو على تلك الحالة ، وتكون أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر - رضى الله تعالى عنه - من قوله عليه السلام : « لا يكون المؤمن ظاعنًا إلا فى ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم » .

وما روى عنه أيضاً فى معناه : « وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فى صنع الله تعالى ، وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب » فإن فى هذه الساعة عونًا له على بقية الساعات، ثم هذه الساعة التى هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب ، فإن الطعام الذى يتناوله مثلاً ، فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له ، كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح » .

وقال الشاعر :

مضى أمسك الماضى شهيدًا معدّلاً	وأصبحت فى يوم عليك شهيد[1]
فإن كنت بالأمس اقترفت إسـاءة	فثنّ بإحسـان وأنت حميـد
ولا تُرجِ [2] فِعْلَ الخير يومًا إلى غد	لعل غـدًا يأتى وأنت فقـيد
فيومـك إن أعتبته عاد نفعـه	عليك ، وما مضى الأمس ليس يعود

ومن أروع ما جاء فى الحث على العمل للحياة قيامًا بحق الوقت الحاضر ، هذا الحديث النبوى العجيب الذى مر بنا من قبل ، وفيه يقول ﷺ : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة (نخلة صغيرة) فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها» .

وهنا نقف وقفة تحليلية لهذا الحديث البالغ الروعة ، ونتساءل : لماذا يأمر الرسول صاحب الفسيلة أن يغرس فسيلته إن استطاع ذلك ؟

---

(١) شهيد بالرفع : خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هو عليك شهيد .

(٢) أى لا ترجئ فعل الخير ، بمعنى : لا تؤخره .

إنه لن يعيش حتى يجنى ثمرة ما غرس ، فهو هنا لا يغرس اليوم ليجنى فى الغد.

وهو لا يغرس ما يغرس ليأكل منها من بعده ، كما قيل لشيخ هرم يغرس شجرة زيتون : لماذا تغرسها وأنت على حافة القبر ؟ فقال : غرس لنا من قبلنا فأكلنا ، ونغرس ليأكل من بعدنا .

أما فى الموقف الذى ذكره الحديث ، فلن يعيش أحد حتى يأكل غداً ما يغرس اليوم ، فإن الساعة قد قامت أوشكت ، ولا أمل لأحد فى حياة .

إذن لماذا الغرس فى هذه اللحظة ؟

إن الأمر الواضح هنا : أنه تكريم للعمل ، لذات العمل ، انتفع بثمراته أحد أم لم ينتفع ، وإشعار بأن الإنسان المسلم لا يدع عمارة الأرض . والإنتاج للحياة ، ولا يكف عن العمل والعطاء ما دامت الحياة قائمة ، وأنه لا يجوز أن يعيش بغير عمل لحظة من الدهر وإن كان إسرافيل قد أمسك بالصور لينفخ فيه ، ويتهدم بعدها سرادق الحياة كلها .

إن غرس الفسيلة فى مثل هذا الموقف يمثل القيام بحق الوقت الحاضر ، حق اللحظة الواقعة ، بغض النظر عن الماضى أو المستقبل .

● كيف يطيل الإنسان عمره ؟

مما لا شك فيه أن الإنسان بفطرته يحب الحياة ، ويحب أن يطول عمره فيها ، بل يحب الخلود فيها لو استطاع ، ومن باب هذه الغريزة - غريزة حب الخلود - دخل إبليس إلى أبى البشر آدم ، ودلاه بغروره ليأكل من الشجرة التى نهى عنها ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[1] .

والدين نفسه يعتبر طول العمر نعمة إذا استخدم فى نصرة الحق ، وعمل الخير .

---

(١) طه : ١٢٠ .

سئل النبى ﷺ أى الناس أفضل ؟ فقال : من طال عمره وحسن عمله » (١) .

ولكن مما لا شك فيه أيضاً ، أن الموت قد نغص على الناس الحياة ، فكثيراً ما اختطف الشاب فى ريعان شبابه ، والعروس فى أول أيام عرسه ، والوحيد المدلل من بين يدى أهله ، والغنى المرفه من أحضان نعمته ورفاهيته ، والحاكم المرهوب من بين حرسه وحشمه ، ولهذا سمى « هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات » .

وإذا كان الموت خاتمة المطاف ونهاية الحياة ، فالعمر لا ريب جد قصير ، مهما طال بالإنسان الأمل ، ومد له فى الأجل ، إنما هو أيام معدودة ، وأنفاس محدودة ، يقطعها الموت بغير استئذان ، ويترك صاحبها فى خبر « كان » .

حكـــمُ المنية فى البرية جار　　　ما هــذه الدُّنيا بدارِ قـــرار

بينا يُرى الإِنسان فيها مخبرًا　　　حتى يُرى خبرًا من الأخبــار

وفى الحديث الشريف : « عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجرى به ومسؤول عنه » (٢) .

وصدق أبو العتاهية حيث قال :

بين عينىْ كـــل حى　　　علـم الموت يلـــوحُ

نحْ على نفســـك يا　　　مسكين إن كنت تنوح

لتمـــوتن وإن عُمِّــ　　　ـرت ما عُمِّرَ نـــوحُ

ولم يستطع الطب الذى وصل إلى زرع قلب مكان قلب ، ولا العلم الذى وصل بالإنسان إلى سطح القمر ، أن يقاوم الهرم ، ويعيد للشيخ الشباب بعد أن رد إلى أرذل العمر ، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم » (٣) .

---

(١) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، والطبرانى بإسناد صحيح والحاكم والبيهقى فى « الزهد » ، وغيره ، كما فى « الترغيب » للمنذرى .

(٢) رواه الطبرانى فى « الصغير » و« الأوسط » من حديث على ، والشيرازى فى « الألقاب» من حديث سهل بن سعد : إن روح القدس نفث فى روحى : أحبب من أحببت .

(٣) رواه البخارى .

وإذا كان عمر الإنسان محدوداً بهذه الصورة ، فأنى له أن يطلبه ، وكيف يستطيع؟

والحق أن العمر الحقيقى للإنسان ليس هو السنين التى يقضيها من يوم الولادة إلى يوم الوفاة ، إنما عمره الحقيقى بقدر ما يكتب له فى « رصيده » عند الله من عمل الصالحات وفعل الخيرات .

ولا غرو أن تجد إنساناً يعمَّر أكثر من مائة سنة ، ولكن رصيده من تقوى الله ونفع عباده صفر أو مادون الصفر ، أى : أن رصيده مدين ، إذا تحدثنا بلغة المصاريف.

وقد يموت إنسان آخر شاباً ، ولكن رصيده فى سنيه القلائل بعد سن التكليف ، حافل عامر بجلائل الأعمال .

يقول صاحب الحكم : « رب عمر اتسعت آماده ، وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آماده ، كثيرة أمداده ، من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ، ولا تلحقه الإشارة » .

وإذن يستطيع المرء أن يطيل عمره بمقدار ما يوفق إليه من عبادة الله تعالى ، والإحسان إلى خلقه ، وكلما توافر لعمله الإخلاص والإتقان ، كان فضله وأجره .

وعلى قدر ما يكون لعمله من الفائدة والتأثير فى حياة الآخرين تكون قيمته ومنزلته ، كأن يدلهم على هدى ، أو ينقذهم من ردى ، أو يفرج عنهم كربة ، أو يرفع عنهم ظلماً ، أو يدفع عنهم عدواً أو غير ذلك من الأعمال التى يتعدى نفعها إلى أفراد أو جماعات من الناس أو إلى أمة بأسرها .

ومن هنا كان عمل مثل الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله فى قمة الأعمال مكانة عند الله تعالى . يقول رسول الله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » [1] .

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

وقال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »(١) .

وكذلك عدل الأئمة والولاة ، لما فيه من إسداء الخير إلى مجموعات كبيرة من البشر قد تكون شعوبًا وأممًا ، ولما فيه من جهاد للنفس ، ومقاومة لنوازع الهوى ، وبواعث المحاباة ، أو الجور ، ولهذا جاء فى الحديث : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة »(٢) .

ومر رجل من أصحاب النبى ﷺ بشعْب فيه عيينة من ماء عذب ، فأعجبته ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب (يعنى : للتعبد) ، ولن أفعل حتى أستأذن من رسول الله ﷺ ، فقال : « لا تفعل ، فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عامًا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل الله . من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة »(٣) .

وهكذا تتفاضل الأعمال وتتفاوت بمؤثرات شتى ، والسعيد من حرص على الأفضل كما قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾(٤) .

وكم من أناس وفقوا لأعمال كبيرة فى أزمنة يسيرة ، حتى لتحسب إنجازاتهم ضربًا من الخوارق ، وما هى بالخوارق ، وإنما هى البركة والتوفيق .

وحسبنا أن رسول الله ﷺ أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وغير وجه التاريخ البشرى كله إلى اليوم ، وإلى ما شاء الله فى ثلاث وعشرين سنة . أقام دينًا

---

(١) رواه البخارى عنه أيضاً .

(٢) رواه الطبرانى فى « الكبير » ، و« الأوسط » من حديث ابن عباس ، وإسناد الكبير حسن كما فى الترغيب .

(٣) رواه الترمذى وحسنه ، والحاكم ، وصحَّحه على شرط مسلم من حديث أبى هريرة .
والعيينة : تصغير عين ، وفواق الناقة ما بين رفع يدك عن ضرعها وقت الحلب ووضعها . وقيل ما بين الحلبتين .

(٤) الزمر : ١٧ ، ١٨

جديدًا ، وربى عليه جيلاً فريدًا ، وأنشأ أمة مثالية ، وأسس دولة عالمية ، فى هذا الزمن اليسير ، برغم كل الصعوبات والمعوقات التى اعترضت سبيله من أول يوم .

ولا تقل : إن رسول الله ﷺ ، مؤيد بالمعجزات ، فمن مثله ؟ وأين نحن منه ؟

فالواقع أن حياة رسول الله ﷺ فى دعوته وجهاده ، كانت تسير على سنن الله المعتادة ، ولم تكن معجزته المتحدى بها هى الخوارق الكونية ، بل القرآن الكريم ، وإنما تأتى المعجزات فى مقام معين بذلت فيه كل الأسباب الممكنة فى الأرض ، ولم يبق إلا عون السماء ، كما فى تأييد الله له فى الهجرة ، حين أنزل سكينته عليه وأيده بجنود غير مرئية ، وكذلك فى غزوة بدر بعد أخذ كل الأسباب أمده الله بألف من الملائكة مردفين ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ﴾ (١) .

وانظر إلى الخلفاء الراشدين ومن معهم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان كيف فتحوا الآفاق ، ونشروا الإسلام ، وعلموا الأمم ، ونقلوها من أديانها الجاهلية ، وعاداتها ولغاتها فى عشرات معدودة من السنين ، حتى وقف المؤرخون حيارى أمام هذا الانقلاب الذى أحدثه الإسلام فى العالم دينيًا ، ونفسيًا ، وفكريًا ، واجتماعيًا ، وسياسيًا فى أقل من قرن من الزمان ؟!

وانظر إلى رجل مثل عمر بن عبد العزيز صمم أن يعود بالخلافة إلى رشدها ، ويرد الحقوق والمظالم إلى أصحابها ، ويؤدى الأمانات إلى أهلها ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فلم تمض سنتان ونصف السنة - هى كل مدة خلافته حتى ملأ الأرض قسطًا وعدلاً .

ويزداد ثقل العمل فى ميزان الحق ، وتتضاعف قيمته ومثوبته عند الله ، كلما كثرت المعوقات فى سبيله ، وعظمت الصوارف عنه وقل المعين عليه .

ومن هنا كان فضل الصحابة رضوان الله عليهم على من بعدهم ، لأنهم آمنوا والناس كافرون ، وصدقوا وغيرهم يكذبون ، وكذلك كان فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على من بعدهم من الصحابة ، ممن أسلم بعد الفتح ، وظهور

---

(١) الأنفال : ١٠

قوة الإسلام ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ لا يَسْتَوِى منكم مَّنْ أَنفَقَ من قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا من بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، وَكُلًا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى ﴾ (١) .

ولهذا أيضًا كان العمل الصالح أعظم أجرًا ، وأرفع قدرًا عند فساد المجتمعات ، واضطراب الأحوال : حين يجور الأمراء ، ويترف الأغنياء ، ويتجبر الأقوياء ، ويداهن العلماء ، وتشيع الفاحشة ، ويظهر المنكر ، ويختفى المعروف ، وهو ما يعبر عنه علماؤنا القدامى بـ « ظهور الفتن وفساد الزمان » وما نعبر عنه نحن بـ « الجاهلية الحديثة » فالعاملون بدين الله ولدين الله فى تلك الحال كأنما هم صحابة جدد ، حيث الدين فى إدبار ، والجاهلية فى إقبال

وفى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال : « عبادة فى الهرج كهجرة إلىَّ » (٢) .

قال الحافظ المنذرى : الهرج هو الاختلاف والفتن ، وقد فسر فى بعض الأحاديث بالقتل لأن الفتن والاختلاف من أسبابه ، فأقيم المسبب مقام السبب (٣) .

وعن أبى أمية الشعبانى قال : أتيت أبا ثعلبة الخشنى ، قال : قلت : كيف تصنع فى هذه الآية ؟ قال : أيةَ آية ؟ قلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ، لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٤) .

قال : سألت عنها خبيرًا ، سألت عنها رسول الله ﷺ ، فقال : « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوى متبعًا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ورأيت أمرًا لا يدَان لك به ، فعليك خُوَيْصَّةَ نفسك . إن من ورائكم أيام الصبر ، الصبرُ فيهن مثل القبض على الجَمْر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون بمثل عمله » .

رواه ابن ماجه ، واللفظ له - والترمذى وقال : حديث حسن غريب ، وأبو داود ،

---

(١) الحديد : ١٠

(٢) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه من حديث معقل بن يسار .

(٣) « الترغيب والترهيب » (٥/ ٤٥٥٥) . (٤) المائدة : ١٠٥

وزاد : قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم ؟ قال : بل أجر خمسين منكم».

وذكر فى بعض الروايات فى تعليل هذه المضاعفة للأجر بقوله : « إنكم تجدون على الخير أعوانًا ، ولا يجدون على الخير أعوانًا » . ومعنى هذا أن الحديث خوطب به بعض الصحابة بعد انتشار الإسلام ، ودخول الناس فيه أفواجًا ، ووجود الأعوان على الخير ، وإلا فإن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يجدوا من يعينهم على الإسلام ، بل وجدوا من يحاربهم عليه ، ورمتهم العرب عن قوس واحدة فهؤلاء لا يدانيهم أحد فى الفضل .

والحديث يوجب الاستمرار فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ما دامت ثم أذن تسمع ، وقلب يعى ، وما دام هناك أمل فى الاستجابة بصورة من الصور ، ولكن حين تُغْلَق الأبواب وتنقطع الأسباب ، ويكون الأمر أكبر من طاقة الإنسان واحتماله ، كما قال فى الحديث :

« ورأيت أمرًا لا يدان لك به » أى لا طاقة لديك ، ولا قدرة لك عليه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا يملك المؤمن هنا إلا الصبر ، حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً .

والصبر هنا لا يعنى السلبية إنه تربص وانتظار مصحوب بغليان نفسى كغليان القدر فوق النار ، ولهذا جعله الحديث مثل : « القبض على الجمر » .

وقد يعنى الصبر هنا التفكير فى عمل طويل النفس ، بعيد الأغوار ، يؤدى إلى تغيير الأوضاع الفاسدة من جذورها ، يتعاون على ذلك المؤمنون الصادقون ، لأن ما لا يقدر عليه الفرد قد تقدر عليه الجماعة ، والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ، ويد الله مع الجماعة ، ولعل هذا هو المقصود بالعمل الذى يجازى صاحبه عليه بأجر خمسين يعملون مثل عمله ، بل أجر خمسين من بعض الصحابة ، وهذا يوحى بأن العمل المذكور من نوع عمل الصحابة : من الاستمساك بالحق ، والاجتماع على نصرة الإسلام ، ومقاومة الجاهلية وبذل النفس والنفيس فى سبيل الله ، والصبر والمصابرة على ذلك حتى يتم الله نوره ولو كره الكافرون .

● العمر الثانى للإنسان :

وكذلك يستطيع الإنسان الذى رزق التوفيق فى إنفاق وقته أن يطيل عمره ، ويمد حياته إلى ما شاء الله بعد موته ، فيحيا وهو ميت ، ويؤدى رسالة للأحياء وهو مقبور . .

وإنما يكون ذلك إذا ترك وراءه ما ينتفع الناس به بعده من علم نافع ، أو عمل صالح ، أو أثر طيب أو سنة حسنة اقتدى بها ، أو مؤسسة خيرية ظلت تؤتى ثمارها من بعده ، أو ذرية صالحة أحسن تربيتها فكانت امتداداً لحياته وحسن سيرته .

وفى هذا روى مسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ - « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

وفى حديث آخر تضمن تفضيلاً لهذه الثلاث : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونشره ، أو ولدًا صالحًا تركه ، أو مصحفًا ورثه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه بعد موته » رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقى .

وأخرج مسلم فى صحيحه « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ (١) ، ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (٢) .

والناس متفقون على أن الذكر الحسن الذى يتركه الإنسان بعد موته يعتبر عُمْرًا آخر له : عمراً غير محدود بعد عمره المحدود ، يقول المتنبى :

ذِكْرُ الفتى عمره الثانى ، وحاجته ما قاته ، وفضول العيش أشغال

ويقتبس شوقى هذا المعنى فيصوغه ويقدم له بهذه الصورة الحية ، حيث يقول فى رثاء مصطفى كامل :

---

(١) يس : ١٢ (٢) القيامة : ١٣

دقـــات قلب المـرء قَائلَةٌ له : إن الحـياةَ دقائـــقٌ وثـــوان !
فارفع لنفسك بعد موتك ذِكْرَها فالذِّكْر للإنســان عمــــرٌ ثَان

ولا عجب أن كل من دعاء أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ؟ ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ (١) .

وفرق كبير بين من يموت والقلوب عليه ولهى ، والأعين عليه باكية ، والألسنة كلها تثنى عليه بالخير وتدعو له بالرحمة ، ومن يموت ولا تبكى عليه عين ، ولا يحزن لفراقه قلب ، ولا يترحم عليه لسان ، شأن الذين عاشوا فى الحياة سلبيين ، أو ظالمين متجبرين ، كذلك الذى قال فيه الشاعر :

فذاك الذى إن عاش لم ينتفع به وإن مات لم تحزن عليه أقاربه !

وكالذين قال الله فيهم : ﴿ كَمْ تَرَكُوا من جَنَّات وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَة كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (٢) .

وكثيرًا ما يموت هؤلاء ، ولا تموت معهم مظالمهم وآثامهم ، أو كفرهم وضلالهم، فقد ورثوه تلاميذ وأتباعًا لهم ، يقتفون آثارهم حذو القُذَّة بالقذة .

وإذا كان من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من علم بها إلى يوم القيامة ، فإن من سن سنة سيئة ، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وإذا كان من ترك علمًا نافعًا ، لم ينقطع عمله الصالح ، فإن من ترك أثرًا سيئًا ، وفكرًا مضللاً ، لم ينقطع أيضاً عمله الطالح .

وما أنكد حظ أولئك الذين واراهم التراب ، ولم تزل أعمالهم الآثمة ، أو أقوالهم الباطلة ، أو أفكارهم الضالة المضلة ، المتمثلة فى كتب ، ومقالات أو أفلام وتمثيليات ، أو شرائط ومسجلات - تسرى وتعمل عملها فى إفساد العقول والقلوب ، عمل النار فى الهشيم .

وهذا ما جعل الصالحين يقولون : طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، وويل لمن يموت وذنوبه باقية من بعده !

* *

---

(١) الشعراء : ٨٤ (٢) الدخان : ٢٥ - ٢٩

● **الحذر من الآفات القاتلة للوقت :**

هناك آفات كثيرة تضيع على الإنسان وقته ، وتأكل عمره ، إذا لم يتنبه لخطرها . . .

من هذه الآفات :

● **الغفلة :**

وهى مرض يصيب عقل الإنسان وقلبه ، بحيث يفقد الحس الواعى بالأحداث ، واختلاف الليل والنهار ، ويفقد الانتباه اليقظ إلى معانى الأشياء ، وعواقب الأمور ، فهو يعنى بالصور لا بالمعانى ، وبالظواهر لا بالحقائق ، وبالقشور لا باللباب ، وبالبدايات لا بالنهايات .

والقرآن الكريم يحذر من الغفلة أشد التحذير ، حتى إنه ليجعل أهلها حطب جهنم ، ويجعلهم أضل سبيلاً من الأنعام العجماوات ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١).

ويدين القرآن أولئك الذين يهتمون بظاهر العلم دون حقيقته ولبه ، فيقول : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٢) .

ويخاطب الرسول فيقول : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٣) .

وفى آية أخرى : ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٤) .

---

(١) الأعراف : ١٧٩
(٢) الروم : ٦ ، ٧
(٣) الأعراف : ٢٠٥
(٤) الكهف : ٢٨

ومن البلية حقًا أن تمر بأمتنا الأحداث تزلزل الجبال ، فلا تعتبر ولا تتغير ، ولا تحرك سواكنها كأنما هى مسرحية تمثل ، أو تمثيلية تؤدى .

ومن هنا كان من دعاء أبى بكر - رضى الله عنه - :

« اللهم لا تدعنا فى غمرة ، ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين » .

وكان سهل بن عبد الله يقول : احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس : القراءة (يعنى العلماء) المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين ، والجبابرة الغافلين !

● **التسويف :**

وثمت آفة أخرى من أشد الآفات خطرًا على انتفاع الإنسان بيومه وحاضره ، وهى التسويف والتأجيل ، حتى تصبح كلمة « سوف » شعارًا له وطابعًا لسلوكه .

قيل لرجل من عبد القيس : أوصنا . فقال : « احذروا « سوف » .

وقال آخر : « سوف » جند من جند إبليس !

فمن حق يومك عليك أن تغمره بالنافع من العلم ، والصالح من العمل ، ولا تسوف إلى غد حتى يفلت منك حاضرك فيصبح ماضيًا لا يعود أبدًا . فعليك أن تزرع فى يومك لتحصد فى غدك ، وإلا ندمت حيث لا ينفع الندم .

فمالك يومَ الحشر شىء سوى الذى تزودته قبل الممات إلى الحشر

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا نَدمتَ على التفريط فى زمن البذر

وكتب محمد بن سمرة السائح إلى يوسف بن أسباط بهذه الرسالة :

(أى : أخى ، إياك وتأمير التسويف على نفسك ، وإمكانه من قلبك ، فإن محل الكلال ، وموئل التلف ، وبه تقطع الآمال ، وفيه تنقطع الآجال ، فإنك إن فعلت ذلك أدلته من عزمك وهواك عليه فعلاً ، واسترجعا من بدنك من السآمة ما قد ولى عنك ، فعند مراجعته إياك لا تنتفع نفسك من بدنك بنافعة ، وبادر يا أخى فإنك مُبَادرٌ بك ، وأسرع فإنك مسروع بك ، وجد فإن الأمر جد ، وتيقظ من رقدتك ، وانتبه من غفلتك ، وتذكر ما أسلفت وقصرت ، وفرطت وجنيت وعملت ، فإنه مثبت محصى ، فكأنك بالأمر قد بغتك ، فاغبطت بما قدمت ، أو ندمت على ما فرطت).

● **آفات التسويف :**

وفى التسويف ، وتأخير واجب اليوم إلى الغد آفات .

أولها : أنك لا تضمن أن تعيش إلى الغد .

دعا أحد الأمراء رجلاً صالحًا إلى الطعام ، فاعتذر بأنه صائم فقال الأمير : افطر وصم غدًا . قال : وهل تضمن لى أن أعيش إلى الغد ؟

وليت شعرى من يضمن لأحد أن يعش إلى غده . والموت يأتى بغتة ، وهو يأتى بأسباب شتى ؟ وقد قال الشاعر الصالح :

تـــــزوَّدْ من التقوى فإنك لا تدرى　　إذا جنَّ ليلٌ : هل تعيش إلى الفجر

فكـــــم من سليم مات من غير علةٍ　　وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

وكـــــم من فتى يُمسى ويُصبحُ آمنًا　　وقد نُســـجَت أكفانُه وهو لا يدرى

وموتُ الفجأة فى عصرنا أكثر منه فى أى عصر مضى ، برغم تقدم الطب والعلم، ولكن الطب لم يمنع الموت بالسكتة والذبحة وغيرها ، والعلم لم يمنع الموت بسبب الحوادث التى لا تحصى كل يوم من جراء أدوات الحضارة : السيارات والطيارات والآلات والأجهزة الميكانيكية والكهربائية وغيرها ، بل العلم هو الذى هيأ الموت بهذه الأسباب ، حيث كان الإنسان قبل عصر الصناعة فى أمان منها .

ثانيًا : إنك إن ضمنت حياتك إلى الغد فلا تأمن المعوقات من مرض طارئ ، أو شغل عارض ، أو بلاء نازل ، ولهذا كان الحزم أن تبادر إلى فعل الخيرات ، وأداء الواجبات ، وكان العجز أن تسوف وتؤجل حتى تفوتك الفرصة ، وتشكو من الغصة . . كما قال الشاعر :

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل　　إلى غد إن يوم العاجزين غـــد

وقال آخر :

عليك بأمر اليوم ، لا تنتظر غدًا　　فمــــــن لغد من حادث بكفيل

وقد وعظ النبى ﷺ رجلاً فقال له :

« اغتنم خمسًا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » [(١)] .

وقال أحد العلماء لبعض الشباب : اعمل قبل ألا تستطيع أن تعمل ، فأنا أبغى أن أعمل اليوم فلا أستطيع .

وكانت حفصة بنت سيرين تقول : يا معشر الشباب : اعملوا ، فإنما العمل فى الشباب .

ثالثًا : أن لكل يوم عمله ، ولكل وقت واجباته ، فليس هناك وقت فارغ من العمل ، ولما قيل لعمر بن عبد العزيز وقد بدأ عليه الإرهاق من كثرة العمل : أخر هذا إلى الغد . فقال : لقد أعيانى عمل يوم واحد ، فكيف إذا اجتمع علىّ عمل يومين ؟!

وقال ابن عطاء فى الحكم :

حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها ، إنه ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد ، وأمر أكيد ، فيكف تقضى حق غيره، وأنت لم تقض حق الله فيه ؟!

رابعًا : أن تأخير الطاعات والتسويف فى فعل الخيرات يجعل النفس تعتاد تركها، والعادة إذا رسخت أصبحت طبيعة ثابتة يصعب الإقلاع عنها ، حتى إن المرء ليقتنع عقليًا بوجوب المبادرة إلى الطاعة وعمل الصالحات ، ولكنه لا يجد من إرادته ما يعينه على ذلك ، بل يجد تثاقلاً عن العمل ، وإعراضًا عنه ، وإذا خطا يومًا إليه خطوة كان كأنما يحمل على ظهره جبلاً !

---

(١) رواه أحمد فى « الزهد » بإسناد حسن عن عمرو بن ميمون مرسلاً ، وكذلك رواه عنه النسائى ، وأبو نعيم فى « الحلية » ، والبيهقى فى « الشعب » ، ورواه الحاكم والبيهقى عن ابن عباس موصولاً ، وصححه الحاكم ، على شرطهما ، وأقره الذهبى ، وتبعهما السيوطى فرمز لصحته فى الجامع الصغير ، واستدرك عليه فى « الفيض » بأن فيه جعفر بن برقان ضعفوه، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ، ولعله لتقوى المرسل بالمسند .

ومثل ذلك نجده عند التسويف فى التوبة من المعاصى والمخالفات ، فإن النفس تعتاد ارتكاب الذنوب ، والتقلب فى الشهوات ، حتى يعسر فطامها عنها ، فإنها فى كل يوم تزداد شغفًا بها ، وملاصقة لها ، ويزداد حجم المعصية ، ويتفاقم أثرها فى القلب حتى يغشاه سوادها ، ويعمه ظلامها ، فلا ينفذ إليه شعاع من هدى ، أو بصيص من نور .

وفى الحديث [1] : « إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها ، وإن زاد زادت ، حتى يغلف بها قلبه ، فذاك الران الذى ذكر الله فى كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ [2] .

خامسا : أن العمل هو مهمة الإنسان الحى ، فالمرء الذى لا يعمل لا يستحق الحياة ، والعمل مطلوب من الإنسان ما دام فيه عرق ينبض ، سواء كان عملاً دينيًا أم دنيويًا .

ومن الحكم المأثورة المشهورة عند المسلمين : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .

* *

● سب الزمان :

ومن الآفات المحذورة ، والسلبيات العائقة ، إلقاء اللوم على الدهر ، ودوام الشكوى من ظلم الزمان وقسوة الأيام ، حتى إن بعضهم ليتصور الزمان أو يصوره خصمًا يضطهده ، أو عدوًا يتربص به ، أو حاكمًا ظالمًا يعاقب البرىء ، ويدلل المسىء ، ويتحيز لزيد ضد عمرو ، بلا سبب إلا اتباعًا للهوى ، أو متصرفًا أعمى يضرب ضربات عشواء ، تصيب مرة وتخطئ مرات .

وهذا كله من آثار النظرة الجبرية التى يحاول الأفراد ، والمجتمعات أن يبرئوا فيها

---

(١) رواه الترمذى وصححه ، والنسائى وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم - واللفظ له - من طريقين ، قال فى أحدهما : صحيح على شرط مسلم كما فى الترغيب .

(٢) المطففين : ١٤

أنفسهم ، ويتهربوا من تحمل التبعة عن أعمالهم وأخطائهم ، وأن يحملوا وزرها لغيرهم ، فيلقيها بعضهم على بعض ، أو يلقوها على الزمان ، أو القدر ، أو الحظ ، أو الظروف ، أو غير ذلك .

وكان الواجب عليهم أن ينظروا فيما نزل بهم من نقمة ، وما سلب منهم من نعمة، ويحللوه تحليلاً أعمق من النظر السطحى ، يربط المسببات بالأسباب ، والنتائج بالمقدمات ، وفقًا لسنن الله تعالى فى خلقه ، فالزمن ليس إلا وعاء للأحداث التى يجريها الله حسب نواميسه وسننه ، وهذا معنى الحديث الصحيح : «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » (١) ، أى : هو واضع السنن ومجريها .

ولما انكسر المسلمون فى أحد ، ومعهم رسول الله ﷺ واستشهد منهم سبعون من أبطال الصحابة ، وتساءلوا عن سبب ما أصابهم من قرح وبلاء . كان الجواب القرآنى : ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ، قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

والقرآن يقرر هذه القاعدة العامة حين يقول :﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٣) .

ومن هنا كان الأولى أن يرجع الناس على أنفسهم باللائمة ، محاولين تقويم العوج ، وإصلاح الفساد ، بدل لوم الدهر ، وعيب الزمان ، كما قال القائل :

إن الجديدين فى طول اختلافهما   لا يفسُـــدان ولكن يَفْسُدُ النَّاسُ

وقال غيره :

نعيب زمـــاننا والعيـب فينا   وما لزمـاننا عـيب سـوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب   ولو نطق الزمان بنا هجـانا

ولا يخفى أن بعض الشعراء والأدباء يغلِّفون تمردهم على فساد المجتمع ، وجور

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة .   (٢) آل عمران : ١٦٥

(٣) الأنفال : ٥٣

الحكام ، بالشكوى من الزمان ، وما يقصدون بالزمان ، إلا أهله وأصحاب السلطان فيه ، كقول أحدهم :

سألتُ زمانى وهو بالجهل مولـــع ... وبالســوء مزهو ، وبالخبث مختص

فقلت له هل من سبيل إلى العلا ؟ ... فقال ســـبيلاه : الجهالة والنقــص

ولهذا يحكون عن بعض جبابرة الملوك أنه قال : الزمان هو السلطان ، فمن سب الزمان فقد استوجب العقاب !

إن واجب المؤمن إذا نزل به ما يكره ، أن يرجع إلى نفسه ، فيما سبها ، وإلى ربه، فيقرع بابه بالتوبة والاستغفار ، ويقول : ما قال أبواه (آدم وحواء) حين أخرجا من الجنة : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (١) .

وما قاله موسى كليم الله ، حين رجع إلى قومه من مناجاة ربه ، فوجدهم قد ضلَّوا من بعده ، واتخذوا عجلاً جسدًا له خوار . لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ، ولم يسمعوا لنصح أخيه هارون ، بل استضعفوه ، وكادوا يقتلونه هنالك توجَّه إلى الله تعالى بالتضرع والدعاء . قال : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ، وأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٢) .

وما قال الربانيون حين استشهد منهم من استشهد ﴿ فَمَا وَهَنُوا لمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ الله وَما ضَعُفُوا وَمَا استَكَانُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) الأعراف : ٢٣ ... (٢) الأعراف : ١٥١

(٣) آل عمران : ١٤٧ - ١٤٨

فهرس الموضوعات

مطبعة المدني

مؤلفات فضيلة الدكتور : يوسف عبد الله القرضاوى

• فى الفقه وأصوله

١ ـ الحلال والحرام فى الإسلام
٢ ـ فتاوى معاصرة (جزءان).
٣ ـ تيسير الفقه : فقه الصيام
٤ ـ الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية.
٥ ـ مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية
٦ ـ من فقه الدولة فى الإسلام.
٨ ـ الفتوى بين الانضباط والتسيب.
٩ ـ عوامل السعة والمرونة فى الشريعة الإسلامية.
١٠ ـ الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد.
١١ ـ الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط.

• سلسلة تيسير الفقه للمسلم المعاصر

١ ـ نحو فقه ميسر معاصر.

• فى الاقتصاد الإسلامى

١ ـ فقه الزكاة (جزءان).
٢ ـ مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.
٣ ـ بيع المرابحة للآمر بالشراء.
٤ ـ فوائد البنوك هى الربا الحرام.
٥ ـ دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى.

• فى علوم القرآن والسنة

١ ـ الصبر فى القرآن.
٢ ـ العقل والعلم فى القرآن الكريم .
٣ ـ كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟
٤ ـ كيف نتعامل مع السنة النبوية؟
٥ ـ تفسير سورة الرعد؟
٦ ـ المدخل لدراسة السنة النبوية .
٧ ـ المنتقى من الترغيب والترهيب (جزءان).
٨ ـ السنة مصدرا للمعرفة والحضارة

• عقائد الإسلام:

١ ـ وجود الله
٢ ـ حقيقة التوحيد

• فى تيسير فقه السلوك فى ضوء القرآن والسنة

١ ـ الحياة الربانية والعلم
٢ ـ النية والإخلاص
٣ ـ التوكل.
٤ ـ التوبة إلى الله .

• فى الدعوة والتربية:

١ ـ ثقافة الداعية.
٢ ـ التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا.
٣ ـ الإخوان المسلمون ٧٠ عاماً فى الدعوة والتربية والجهاد .
٤ ـ الرسول والعلم.
٥ ـ الوقت فى حياة المسلم.
٦ ـ رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد

• فى ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية

١ ـ الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى والأسلامى.
٢ ـ أين الخلل.
٣ ـ أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة.
٤ ـ فى فقه الأولويات.
٥ ـ الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه.
٦ ـ الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.
٧ـ ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده.
٨ ـ غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى.
٩ ـ شريعة الإسلام صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان
١٠ ـ الأمة الإسلامية حقيقة لاوهم.
١١ ـ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف.
١٢ ـ الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم.

• سلسلة : حتمية الحل الإسلامى

١ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا .
٢ ـ الحل الإسلامى فريضة و ضرورة.
٣ ـ بينات الحل الإسلامى وشبهات العلمانيين والمتغربين.

• نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام

١ ـ شمول الإسلام.
٢ ـ المرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة
٣ ـ موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى
٤ ـ السياسة الشرعية فى ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها .

• إسلاميات عامة

١ ـ الإيمان والحياة.
٢ ـ العبادة فى الإسلام
٣ ـ الخصائص العامة للإسلام.
٤ ـ مدخل لمعرفة الإسلام.
٥ ـ الإسلام حضارة الغد.
٦ ـ الناس والحق.
٧ ـ جيل النصر المنشود.
٨ ـ درس النكبة الثانية.
٩ ـ خطب الشيخ القرضاوى ج١ .
١٠ ـ خطب الشيخ القرضاوى ج٢ .
١١ ـ لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر.
١٢ ـ قضايا معاصرة على بساط البحث.
١٣ ـ قطوف دانية من الكتاب والسنة.

• شخصيات إسلامية

١ ـ الإمام الغزالى بين مادحيه وناقديه.
٢ ـ الشيخ الغزالى كما عرفته : رحلة نصف قرن.
٣ ـ نساء مؤمنات.

• فى الأدب والشعر

١ ـ نفحات ولفحات ـ ديوان شعر.
٢ ـ المسلمون قادمون ـ ديوان شعر.
٣ ـ يوسف الصديق ـ مسرحية شعرية.
٤ ـ عالم وطاغية ـ مسرحية تاريخية.

• رسائل ترشيد الصحوة

١ ـ الدين فى عصر العلم.
٢ ـ الإسلام والفن.
٣ ـ النقاب للمرأة بين القول ببدعيته والقول بوجوبه.
٤ ـ مركز المرأة فى الحياة الإسلامية.
٥ ـ فتاوى للمرأة المسلمة.
٦ ـ جريمة الردة وعقوبة المرتد فى ضوء القرآن والسنة.
٧ ـ الأقليات الدينية والحل الإسلامى.
٨ ـ المبشرات بانتصار الإسلام.
٩ ـ مستقبل الأصولية الإسلامية .
١٠ ـ القدس قضية كل مسلم .
١١ ـ ظاهرة الغلو فى التكفير .

• محاضرات الدكتور القرضاوى :

١ ـ لماذا الإسلام ؟
٢ ـ الإسلام الذى ند[illegible]
٣ ـ واجب الشباب ال[illegible]
٤ ـ مسلمة الغد .
٥ ـ الصحوة الإسلامي[illegible]
٦ ـ قيمة الإنسان وغا[illegible]
٧ ـ لكى تنجح مؤسس[illegible] المعاصر .
٨ ـ التربية عند الإما[illegible]
٩ ـ مع المصطفى ف[illegible]
١٠ ـ السنة والبدع[illegible]
١١ ـ زواج المس[illegible]
١٢ـ الضوابط الشر[illegible]
١٣ـ موقف الإسلام العقدى [illegible] اليهود والنصارى